ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1100 - الجمعة 17 ذي الحجة 1425 هـ - الموافق 29 يناير 2005

بعض فضائل البسملة

البحث عن ثقافة إعلامية أصيلة

الاخلاص في العمل

تفضيل الحكام على المفتين والأئمة على الحكام

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-6-

في الحديث السابق المرتبط بهذا الموضوع أشرنا إلى حديث جابر ابن عبد الله كما رواه صحيح مسلم وأبو داود والنسائي والذي تعرض لوصف خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة المنورة قاصدا الحج حتى دخلها ثم صعوده صلى الله عليه وسلم إلى منى وعرفات وخطابه التاريخي يوم عرفات ورجوعه إلى المزدلفة ثم منى لرمي الجمرات ودخوله لمكة لأداء طواف الإفاضة ومتابعته صلى الله عليه وسلم لبقية المناسك برمي الجمرات أيام التشريق.

وإننا في القراءة الأولى لهذا الحديث نرى من المناسب ابراز بعض الأحكام الفقهية والقواعد العامة الإنسانية التي ورد النص عليها، زيادة على بعض التوجيهات النبوية الواردة في الخطاب:

1- إن الحج فريضة على الرجل والمرأة ولايميز الإسلام بينهما في المناسك مثل بقية الأحكام الأخرى، لكن طبيعة المرأة تفرض عليها بعض العوارض، وقد حدثت بعضها فعلا في حجة الوداع والرسول صلى الله عليه وسلم مازال في ضواحي المدينة، فزوجة أبي بكر الصديق ولدت قبل الشروع في الإحرام، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاغتسال للإحرام والشروع فيه بالتلبس بجميع أحكامه. لاسيما أن مدة السفر ستسغرق نحو أسبوع، فإن كل الأمور ستعود إلى طبيعتها وتؤدي باقي المناسك مع الحجاج.

2- التوجيه الثاني الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على المروة في نهاية السعي بين الصفا والمروة عقب الطواف بالبيت أنه أمر من ليس معه هدي أن يحلق أو يقصر ويتحلل من جميع أفعال المناسك ويعتبر طوافه وسعيه عمرة أنهاها في المروة، ومن كان معه الهدي فليستمر على إحرامه. ويعتبر قارنا بضم مناسك العمرة إلى الحج في عمل واحد، وعليه متابعة مناسك الحج، وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن تحلل من أحكام العمرة، ولما وجدها زوجها سيدنا علي بن أبي طالب متحللة أنكر عليها تحللها، ولما أخبرته بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر كل من ليس معه الهدي أن يتحلل ولما تأكد من ذلك فوض الأمر لله ولرسوله.

3- إن متابعة مناسك الحج أو الشروع فيها من جديد لمن تحلل بعد العمرة يشرع فيها يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة بالخروج إلى منى والإقامة بها لمدة يوم و خد بصلاة خمس صلوات الظهر والعصر المغرب والعشاء لليوم الثامن والفجر لليوم التاسع.

4- إن أعمال اليوم التاسع تبدأ بالذهاب إلى عرفات والمسافة نحو خمسة عشر كيلو متر، والرسول صلى الله عليه وسلم أمر بنصب خيمة له بنمرة عند مدخل عرفات ارتاح فيها قليلا ثم ركب ناقته وتابع سيره حتى وصل بطن الوادي فألقى خطبته المشهورة وصلى االظهر والعصر قصرا وجمعا، ومن جملة ما أمر فيها من مبادئ وحقوق تهم كافة الناس كيفما كانت حالتهم مايلي:

1- حق الناس جميعا في حماية أموالهم ودمائهم وأنفسهم وأن الاعتداء على المال والنفس حرام.

وهذا مبدأ يدخل في ضمان حقوق الإنسان في الثقافة العصرية وقد أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

عيد سعيد

يطل عيد الأضحى المبارك هذه السنة وحال المسلمين كما نرى ونقرأ ونسمع من اتهامات توجه للبعض منهم تمس تلك الاتهامات أفرادا منهم تارة، وجاليات تارة أخرى، وفي بعض الأحيان يتسع الحجم حتى تنعت بعض الدول بالإرهاب والتطرف وتختلق دعايات مغرضة بين الشعوب الإسلامية وقاداتها من أجل الزيادة في التفرقة بين كل من يحمل اسم مسلم وهذا التحامل الممنهج الذي لا مبرر له ألم نفوس المسلمين وتضايق منه كل من يحمل في توجهه وسلوكه إنصافا ويدافع عن الحق والمشروعية، كما ألم من يعمل من أجل سيادة العدل والقانون بين أبناء الإنسانية بصفة عامة.

إننا نحن المسلمين ندعو للسلم والسلام ونعمل من أجل اتحاد الإنسانية بصفة عامة في إطار الاحترام الكامل فيما بين القادة والشعوب، وذلك مما يقوي احترام البعض للبعض ويزيد في تعاون الدول الغنية مع الدول المحتاجة حتى يزول الفقر والجهل عن الإنسان من حيث هو، وهذا التآزر المطلوب يكون مبنيا على عدم التدخل في شؤون الآخرين كي يسود الاحترام الكامل بين الأمم وقاداتها بدون إغفال مد يد المساعدة للجاليات المنتشرة من أبناء البشرية في الدول بقطع النظر عن دينها ومعتقدها، كما على تلك الأقليات الموجودة في العالم أن تراقب الواجب عليها ولا تتعداه في نفسها ولا مع من تتعايش معه كيفما كان، وليبذل الكل ما في وسعه لتحكيم العدل في العلاقات البشرية فلا داعي لاعتداء البعض على البعض، فذلك يورث الكراهية ويساهم في عدم الاستقرار، ونحن أحوج ما نحتاجه هو الهدوء والسلام بين الناس بصفة عامة فلا علم ولا بناء ولا تقدم بدون أمن واستقرار.

فالفئة الفقيرة من دول العالم هي في أمس الحاجة إلى الاعتناء بها من الدول الغنية، فنحن محتاجون إلى التعاون في شتى مظاهر الحياة ومعالمها المتنوعة الأشكال، والمتفاوتة المصالح، لأن الأمم الضعيفة تنطلق في بنائها من الصفر في نمائها وحضورها في شتى مجالات الحياة... وإذا كان البعض من دول العالم الثالث يتطلع لإنقاذ نفسه فإنه بالرغم من ذلك لا يمكن له أن يساوم في التخلي عن دينه وثوابته بوجه من الوجوه، ويتمنى العالم الإسلامي الذي يمد يده للتعاون مع بعضه بعضا ومع غيره من دول العالم أن يكون تدعيم الإنسان لفصيلته الإنسان ليس خاضعا ومشروطا بممارسة عمل ينافي قيمه ومبادئه التي يعدها من الثوابت.

فرجاؤنا أن نتعاون ونحافظ على عقيدتنا ونبقى سائرين مع السبيل المستقيم، معتقدين أن العاطي والمانع في الحقيقة هو الله الذي ليس كمثله شيء فهو جل وعلا : **"الله خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون"**، سورة الزمر، الآية: 6263.

فعلينا أن نحصن ديننا ولا نترك منفذا يريد منه الغير التسرب إليه قصد إفساده وتشويهه ولا نألو جهدا في المحافظة على الأخلاق الإسلامية في التربية والسلوك كما نبقى سالكين مع معاملاتنا مع غيرنا ما يدعونا إليه الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا).

فدين الإسلام دين مرن رحماني بعيد من التزمت والحجر والتعصب... يحترم الغير وينتظر ممن سواه أن يعامله بالمثل.

ومن عمق إنسانية الإسلام أن تربيته توجهه لحب الجميع وما ندعو به لأنفسنا من خير ندعو به لسائر المؤمنين وهذا هو سنن النبيئين والصالحين فقد جاء ذلك في القرآن الكريم: "ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحسابُ ، وقال تعالى: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمانُ سورة ابراهيم، الاية: 41.

المسلم المؤمن رباني لا يحب لأي كان إلا الخير والسعادة والطمأنينة... ومن الواجب علينا نحن المسلمين الإيمان بالنبوءات كلها ولذلك فديننا عالمي قال تعالى: **"آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"**سورة البقرة، الآية:285.

وهكذا فنحن لا نفرق بين أحد من رسله وندعو إلى المحبة في الله والتعاون على البر والتقوى فلنعرف الإسلام على حقيقته ولا نتهم المسلمين بما يتبرأ منه الإسلام كما نرجو من كل من يريد مساعدتنا ماديا ومعنويا مشكورا أن يحترم ثوابتنا وأصالتنا وقيمنا كما نحن كذلك.

نرجو أن يكون هذا العيد عيدا مباركا سعيدا على المسلمين بصفة عامة وعلى الإنسانية بصفة أعم، وأن يكون فاتحة خير لنشر الرحمة في القلوب، وأن يعم بحلوله السلم والتعاون والسلام في العالم كما ندعوه جل وعلا أن يعيده على صاحب الجلالة والمهابة أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين جلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتمكين وهو يرفل في رداء النصر والعز مقرور العين بولي عهده سمو الأمير مولاي الحسن، وبصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد، وبجميع أفراد الأمراء والأميرات إنه مجيب الدعوات، وجالب الخيرات، ودافع المضرات، وأن يعيد هذا العيد على الأمة الإسلامية بل والإنسانية عامة والكل في عز وحب وسلام واطمئنان إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

نص رسالة ابن القاضي التنبكتي إلى ملك المغرب الشريف العلامة المولى سليمان رحمه الله

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

الحلقة الرابعة

لقد عرفت بهذه الرسالة في الحلقات الماضية على صفحات جريدة ميثاق الرابطة الغراء، وحاولت إعطاء فكرة مختصرة عنها، والرسالة مأخوذة من كتاب: "مصلح فولاني في بلاد المغرب" لمؤلفيه الدكتور محمد المنصور، وزوجه الفاضلة الدكتورة فاطمة الحراق، وهو يتضمن رسالتين لابن القاضي التنبكتي، إحداهما لوالي تونس، والثانية لسلطان المغرب المولى سليمان.

والمؤلفان بذلا جهودا مشكورة في التحقيق والتعليق والبحث، ولايسعني إلا أن أنوه بعملهما، وقد رأيت من الواجب أن ألفت نظر قراء صحيفتنا الغراء، إلى هذه الدراسة القيمة، مع تعليقات وإضافات قصد إبراز قيمة هذه الرسالة التاريخية.

هذا وقد طلب مني الأخ السيد مدير النشر مشكورا نص الرسالة، لأنني لم أتناول إلا لقطات منها معبرة عن المراد، وذلك إتماما للفائدة فلبيت طلبه شاكرا له اهتمامه وراجيا من الله التوفيق للجميع.

فليس فيه دليل يدل على جواز نداء الأولياء "يا فلان اقض حاجتي أو سلمني من الشدة" لأنهم حينئذ في وقت الفنا وذلك الوقت لايرون أنفسهم ولاغيرهم من الملك والملكوت، حيوانا كان أو جمادا موجودا سوى الله تبارك وتعالى، ولايعدون ما خرج من أفواههم في ذلك الوقت أقوالهم إنما يعدون كلام الله كأنما قال الله تبارك وتعالى لعبده إذا كنت في كرب وناديتني أجيبك بسرعة، كما قال عز من قائل: "أم من يجيب المضطر إذا دعاه وليس لهم حينئذ قصد حتى يقصدوا بذلك أنفسهم، وكيف يمكن أن يزكوا أنفسهم إذاك وهم مشتغلون بأمر صعق فيه موسى وغرق فيه سيد الكونين صلى الله عليهما وعلى جميع الأنبياء مع حرمة تزكية النفس كما قال الله سبحانه: "فلا تزكوا أنفسكم"، وبهذا المعنى جهل كثير من الطلبة وجميع العوام وهلكوا من حيث لايشعرون.

وكنت يوما في السفينة بين محروسة تونس ومحروسة الجزائر، ومعي أناس من هذه الفرقة، وجرى الكلام بيني وبينهم وقالوا إن أبا العباس هو الذي ينجي المراكب في البحر، وقلت لهم اتقوا الله ولاينجي في البحر ولا في البر أحد إلا الله الواحد القهار الذي أحيا أبا العباس وأماته، وقام رجل منهم وقال: والله وقع كذا وكذا من الشدة في البحر حتى كاد المركب أن ينقلب على أهله وفعل أهل المركب كذا وكذا لأبي العباس ولولاه لهلك المركب، انظر هذا الجواب يا أخا العقل السليم هل هو كفر أم لا، حيث نفينا الحول والقوة لغير الله ثم أثبته هذا القائل لغير الله، ولا يختلف اثنان في كفر من قال مثل هذا إلا من ذهب نور العلم والإيمان عن قلبه لأنه لايناجي أحدا بـ "يافلان نجني من كذا" ولا "اقض حاجتي من كذا وكذا"، إلا إذا كان المطلوب شيئا من مال وهو في يده، وكيف ينادي أحد يمثل هذا بعد أن قال الله تعالى : "إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين" وأما قول القائل : "اللهم أعطني كذا وكذا بحرمة نبي أو ملك أو ولي"، لست أكفر أحدا بذلك، وغاية ذلك أن يكون بدعة، والمؤمن لايفكر بالبدعة الخالصة عن الشرك. وقد ذكرنا جملة من إبطال قول الوهابيين المكفرين الناس بمثل هذا التوسل في رسالتنا هتك الستر، والله أسأل أن يوتينا بما فيه صلاح ديننا ودنيانا، وأن يحفظ إيماننا من التبديل والتغيير الواقعين في زماننا وأن يرزقنا وسلاطيننا القيام بحقوق ربنا يامجيب السائلين آمين.

باب في إثبات كفرهم

اعلم وفقنا الله وإياك بأحسن الأعمال ولايخفى على أحد ممن في قلبه رائحة معرفة عقائد الشريعة أن كل ماذكرت من أول الباب الأول إلى آخره كفر صريح لايحتاج ذلك إلى رقامة الدليل وإن احتاج فقد كفى ما في الباب من الآيات البينات وقول الصحابة وفحول أهل العلم، ومن نفى كفر هؤلاء فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع أهل السنة. وأما الكتاب فكل ماتقدم من الآيات، لأنا قد ذكرنا أمر كل مسألة آية في الكتاب تدل على صحتها، وأما السنة فقد ورد في الصحيحين عن زيد ابن خالد ما معناه أنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر بالحديبية في إثر سماء من الليل فقال: أترون ما قال ربكم الليلة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم(قال: إنه أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكواكب، ومؤمن بالكواكب كافر بي، فمن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بالله وكافر بالكواكب، ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بالله مؤمن بالكواكب. وأما الإجماع فقد اتفق السلف والخلف أن كل من أثبت الحول والقوة والنفع والضر حقيقة لغير الله فهو كافر بالله ورسوله، وإن نشأ ذلك من مؤمن فهو مرتد يجب استتابته، فإن تاب فنعم وحسن، وإن أبا قتل كفرا لاحدا. وإن قال قائل: فإن كان الأمر كما قلت فما وجه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه إذا نشأت بحرية ثم تشاومت فتلك عين غديقة، قلت الفرق بين النخل والنحل ظاهر لأن النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن يكون قوله في ذلك وحي من الله بأن يكون الأمر كذلك في غالب الأحوال، من فضل الله وقدرته وإنعامه، لا لكونه نشأت من قدرة وإرادة وقوة تلك الجهة، وهؤلاء ليس ذلك حالهم بل إنهم جعلوا هذه الأمور هي التي تتصرف لأنفسهن ويقع الضر والنفع من إرادتهن وقدرتهن وقوتهن وكيف لايكفر هؤلاء وقد كفر اليهود والنصارى بتبديلهم التوراة والإنجيل ولايخفى على كل ذي عمل أن التشاؤم والتطير أشد من التبديل، أعوذ بالله من ذهاب الدين وأهله تالله ماذهب الدين إلا لسكوت رعاته وهم العلماء حتى ينقل أهل الضلال سكوتهم دليلا يدل على جواز أفعالهم، لأنه إن نهبت أحدا منهم عن منكر يقول قد راني فلان أفعل هذا وما ذمني ولانهاني وهو أعلم منك وأفقه منك، ولايعرف المسكين أن كثرة الروايات والفروع ليس لعلم إنما العلم المعمول به، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء. وبهذا يعرف أن علماء زماننا علماء الدنيا لأنهم لو كانوا علماء الآخرة لما سكتوا عن ما ليس فيه ضرر ولا تعب في كلامهم، ياليتهم لو اقتصروا على السكوت فقط، هيهات! هيهات! بل سكتوا وحاربوا وأنكروا على من قام بالإنكار على أهل البدع ياليتني لم تلدني أمي في هذا الزمان الذي ليس فيه سلطان عادل ولا عالم عامل بعلمه ولا غني منفق ولافقير صابر، إلا ماقل جدا ككبريت أحمر، لو وافق زماننا هذا حجاج بن يوسف لنزل منزلة عمر بن عبد العزيز، ولو عاش منافق الزمن الأول إلى يومنا هذا لزاره الناس ولنزلوه منزلة أويس القرني، ولو بعث جاهلهم من القبر لأحيا ما مات من علوم السنة المحمدية، وأفضل الكلام ما أفاد وقل، والله أسأل أن يجعلنا ممن علم وعمل، وعمل وأخلص، وأخلص ووافق سنة المحمدية آمين آمين.

تتمة: فاعلم يا أيها القائم بمصالح العباد المقلد بحقوقهم أن الله تبارك وتعالى يسأل كل إنسان بما كلفه، ويسأل السلطان عن رعيته كيف أمرهم هل المعروف أو المنكر، هل نهاهم عن المعصية أولا. ويسأل العلماء هل بلغوا المناكر إلى أرباب الحكم أم لا، هل عملوا بما علموا أم لا، إلى غير ذلك. فإذا عرفت هذا علمت أنه يجب عليك وجوبا فرضا حتما أن تأمر أهل مراكبك أن يتوبوا من هذا العمل إن كان عندهم، وأن تأمرهم بالأذان والصلاة عند كل وقت، وأن يقرأوا ماتيسر من القرآن في مراكبهم وأن لايتعرض أحد منهم لمن سافر مع أهله معهم ومنعه عن الجماع ونحوه، وأن لايمنعوا أحدا من البول والغائط عند غروب الشمس وعند طلوعها، وأن لا يتشاءموا بالقرآن العظيم والأذان والصلاة، وأن لايقتدوا بالمنافقين في سب الدين والآباء، وإن لم يكن شيء من هذه الأمور عندهم فواجب عليك أن توصيهم أن لايقتدوا بكل شيء من هذه الأمور ليلا يوافقوا اليهود والنصارى في دينهم، وأن ترسل إلى باشا الجزائر وتونس وطرابلس كتابا في هذا الشأن وتنبههم وتحذرهم من ذلك بأن تأمرهم أن يأمروا أهل مراكبهم بالتوبة وترك كل ماذكرت من أفعالهم، وأن يأمروهم أن يفعلوا كل ماذكرت الآن، لأنك سلطان وهؤلاء تحتك ولو كانوا تحت العثماني، لأن هذا تبليغ والتبليغ واجب على كل من قدر عليه، وأيضا ليس فوق الأرض أحد يليق بالتبليغ مثلك لأن ذلك صنعة جدك وحرفته صلى الله عليه وسلم، ويجب على الحفيد أو يقتدي بجده ويقفو على أثره ويمشي على آثار قدمه خطوة خطوة لكي يلحقه في الطريق ويسافر معه إلى دار البقاء من غير حساب. جعلنا الله وإياكم ممن سافر مع تلك الرفقة إلى دار السلام، يارب العالمين، وإنما أمرتك أن ترسل إليهم هذا الكلام لظني الإفادة، لأنهم راضون بك ولاقدرة لهم إلى مخالفة أمرك ونهيك، ومن امتنع عن ذلك فواجب عليك محاربته بقدر طاقتك، إما بالسيف لمن قرب دارك منهم أو باللسان والقلب إن بعد.

(تتمة ص1)

2. تحريم الربا والظلم وكل العادات التي كانت تتعارض مع كرامة الإنسان وتعامله الإحساني.

3. الإعلان عن حقوق المرأة، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنين بتقوى الله في التعامل معها، وعليهن حماية بيوت الأزواج وعدم التعارف مع من لايريدون ذلك.

4. على الرجل أن يقوم بأداء حقوق المرأة في المأكل والمشرب والملبس في حدود المعروف.

5. تحريم الوصية لوارث وهو مبدأ أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم في توجهاته بمناسبة الحجة النبوية.

6. تحريم التبني والانتساب لغير الأب، وأن الولد ينسب إلى من ولد على فراشه بعقد شرعي.

7. أوصى المسلمين بحفظ ألسنتهم وأيديهم من السوء، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمومن من أدى الأمانة لأهلها، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله.

8. أوصى المسلمين بعدم الكذب في التعامل اللساني، وقال: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار".

9. وأوصاهم بالاعتصام بالكتاب والسنة، فقال وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وسنة نبيه".

10. وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنين بأن يكونوا إخوة في الله لايعتدي أحد على آخر، ولايأخذ ماله إلا عن طيب نفسه.

11. وأوصاهم كذلك بالسمع والطاعة لولاة الأمر مهما كان جنسهم أو لونهم أو وطنهم الاجتماعي مادامو يقيمون فيهم كتاب الله.

12. وأعلن المساواة بين الناس وأنه لاتفاضل إلا بالتقوى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

13. وأوصاهم صلى الله عليه وسلم خيرا بالتعامل مع الخدم والأرقاء وإعطائهم حقوقهم المضمونة.

14. ومن آخر وصاياه صلى الله عليه وسلم أن يكون قلب المسلم منفتحا لإخلاص العمل لله، وفيا لولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين.

وقد وردت هذه الوصايا متفرقة في ما أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد في مسنده وابن حبان والبزار وابن حجر، والطبراني في الكبير والدارمي.

والحديث عن حجة الوداع وماورد فيها من توجيهات نبوية رواه ثلاثون صحبيا كما في كتاب السيرة النبوية للدكتور مهدي رزق الله أحمد

وقد لخص الألباني في كتابه حجة النبي صلى الله عليه وسلم فقه الحج النبوي في اثنتين وسبعين مسألة كلها مأخوذة من النصوص التي جاءت مروية في أحاديث متفرقة.

وإلى عدد آخر إن شاء الله لمتابعة هذه الوقفة الفقهية مع حجة الوداع لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الوثاق

التخصيص بالنية من اعتبار شرط المنافات

للعلامة
عمر بن
عبد الله
بن عمر
الفاسي

الأستاذ :
إدريس
كرم

الحلقة الثالثة

الحمد لله ملهم الحق ومفيده، ومبدىء الخلق ومعيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لإقامة الدين وتسديده، وعلى ءاله وصحبه القائمين بنصره وتاييده، وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله سبحانه عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي وفقه الله بمنه.

لما وقفت على ما قرره الإمام شهاب الدين القرافي رحمه الله في مسالة التخصيص بالنية من اعتبار شرط المنافات، وعلى ما سطره العلامة ابن القاسم بن الشاط في مخالفته من القواعد والاعتراضات، دعتني داعية التعلق بتحقيق المسائل، وبغية الولوع بتحرير المقاصد والوسائل، أن أتعرف كنه الحقيقة في صورة النزاع، وأن لا أجتزء فيها بمجرد التقليد والاتباع، فاوريت زندجدى، وأعملت النظر جهدي، فلاح لي وجه الحق فيها مع الشهاب، وايقنت منه الإصابة دون شك ولا ارتياب، فعند ذلك ابرزته للعيان، وبينته في مجلس الدرس أحسن بيان، ثم رأيت أن أرسمه في مسطور، وارقمه في رق منشور، ليتم وضعه، ويعم نفعه، وبالله تعالى أستعين، فهو القوي المعين،

قال الإمام أبو العباس أحمد بن ادريس القرافي شهاب الدين رحمه الله في كتابه المسمى بانوار البروق، في أنوار الفروق، ما نصه:

... قلت: قد يطلق اللفظ العام لتعلق القصد بمدلوله في الجملة قبل أن يتعين المقصود من عموم أو خصوص ويأثر ذلك يتعين القصد إلى الخصوص فيوتى بالاستدراك متصلا خشية توهم إرادة العموم وهذه حقيقة الثنيا وقد تلخص أن النسخ لابد فيه من إرادة التناول أولا عكس المحاشات إذ لابد فيها من إرادة عدم التناول أولا واما الثنيا فلابد فيها من عدم الإرادة أولا ووقع في عبارة العضد ما يقتضي أن العام في الاستثناء، مراد عمومه فإنه قال عند قول ابن الحاجب: التخصيص قصرالعام على بعض مسمياته ما نصه: يتناول ما أريد به جميع المسميات ثم أخرج بعض كما في الاستثناء وما لم يرد إلا بعض المسميات ابتداء كما في غيره هـ، وهو مشكل مع ما تقدم فإن إخراج البعض بعد إرادة العموم أولا قطع للعموم ورفع له فيكون نسخا لا تخصيصا ومن ثم لا يعتبر في الأيمان ونحوها وقد قال الغزالي رحمه الله ما نصه: النسخ رفع لما دخل تحت اللفظ والاستثناء يدخل على العام فيمنع أن يدخل تحت اللفظ ما كان يدخل لولاه والتخصيص بين كون اللفظ قاصرا عن البعض.

*****

فالنسخ قطع ورفع والاستثناء دفع والتخصيص بيان انتهى، وقد تأول سعد الدين رحمه الله في حواشيه عبارة العضد فقال يعني أن مثل اقتلوا الكافرين إلا أهل الذمة، المراد بالكافرين جميع الكفار ليصح إخراج أهل الذمة فيتعلق الحكم بغيرهم، فيكون القصر على البعض باعتبار الحكم فقط وفي مثل اقتلوا الكافرين ولا تقتلوا أهل الذمة يتبين أن المراد بالكافرين غير أهل الذمة خاصة فيكون القصر على البعض باعتبار الدلالة والحكم جميعا ويكون معنى القصر في الأول أن اللفظ الذي يتناول جميع المسميات قد قصر الحكم فيه على بعضها وفي الثاني أن اللفظ الذي كان يتناول الجميع في نفسه قد قصرت دلالته على البعض خاصة ح يندفع ما يتوهم من أن اللفظ إن كان على عمومه فلا قصر، وإن وجدت قرينة صارفة عنه فلا عموم فلا قصر هـ، فبين أن إرادة العموم في الاستثناء باعتبار الدلالة لا باعتبار الحكم وهو معنى، قول التاج السبكي تبعا لوالده في الفرق بين العام المخصوص والعام الذي أريد به الخصوص أن الأول عمومه مراد تناولا لا حكما والثاني عمومه غير مراد لا تناولا ولا حكما بل هو كلي استعمل في جزئي ومن ثم كان مجازا قطعا هـ، وهذا الفرق لم يتعرض له الأصوليون كما قال العلامة الزركشي، ولكنه جرى بين المتأخرين ومنهم تقي الدين السبكي وقد عدوه من مهمات الأصول وفيه عندي نظر فإن الداعي إلى تمحله ما توهموه من توقف صحة الاستثناء على اعتبار إرادة العموم كما قال السعد المراد بالكافرين جميع الكفار ليصح إخراج أهل الذمة وقد فرض أن العموم غير مراد باعتبار الحكم فلو لم يكن مرادا باعتبار التناول أيضا لم يصح الإخراج الذي معنى الاستثناء، فالجواب أن الاستثناء لكونه إخراجا يستدعي تناول العام للمستثني بأن يدل عليه وهذا القدر كاف في تحققه وهو حاصل في القسمين معا ضرورة أن اللفظ فيهما عام يتناول بالوضع جميع المسميات أي يدل عليها وإن كانت تلك الدلالة غير مقصودة فإن عدم القصد لا يوجب انسلاخ اللفظ عن الدلالة بل المحققون على أنه لا دخل للإرادة في الدلالة، فالدلالة فيه حاصلة غير مقصودة والاستثناء يدعي حصولها لا إرادتها فصحة إخراج أهل الذمة من عموم الكافرين لا يستدعي تقدم إرادة ذلك العموم ولكنها تستدعي حصولها ورب حاصل غير مقصود فلا حاجة إلى اعتبار هذا الفرق ولا داعي إلى تمحله، ولذا لم يتعرض له الأصوليون والله أعلم.

*****

وكتب ابن الشاط على قوله وأما النية فليس فيها ذلك ولا تشملها هذه القاعدة ولا تتوقف الألفاظ الصريحة عليها إلى قوله أما بتقدير الحكم في بعض الأفراد فلا لأنها مؤكدة ما نصه: ما قاله هنا دعوى لاغير ولم يات عليها بحجة انتهى. أقول محصل جواب الشهاب عن الثاني ان العام لما اتبع بما لا يستقل صار الكلام غير مستقل وصار المقصود بالحكم هو ذلك التابع وغيره انما سيق له بغير مسمى التابع غير مراد ضرورة فكأنه قال في حلفه لا لبست كتانا وهو لو قال ذلك ما حنث بغير الكتان قطعا إذ لا وجه لحنث بغير ما حلف عليه وهذا بخلاف إطلاق اللفظ العام واستحضار بعض مسمياته مع الذهول عن البعض فلا داعي إلى إبطال العموم فيه إذ الكلام هاهنا مستقل ولم يلحق بشيء يبطل استقلاله وهذا الكلام لوضوحه لا يحتاج إلى أن يستظهر عليه بحجة لكن بقي أن يقال أن قول الشهاب وإذ الحقت لم تك على عمومه بالتخصيص إلا أن يتعلق بإخراج بعض أفراده يقتضي اعتبار النية وتأثيرها في الثنيا بدون لفظ وذلك لا يجري على المشهور في المذهب وقد قال ابن القاسم حسبما في سماع عيسى من العتبية مانصه: ولا تكون الثنيا إلا ما حرك به لسانه والنية تنفعه وإن لم يحرك بها لسانه ومثال ذلك في النية أن يقال امرأته طالق البته إن دخل دار فلان، أولا كلم فلانا فكلمه بعد شهر، وقال إنما نويت شهرا، قال مالك: إن كانت عليه بينة فرق بينه وبينها وإن أتى مستفتيا وذكر أنه إنما نوى شهرا دين وكان القول قوله والثنيا أن يقول إن كنت اليوم صحبت قريشا ويستثني في نفسه إلا فلانا وإن كنت اليوم أكلت طعاما ويستثني في نفسه إلا لحما فامرأته طالق فهذا لا ينفعه إلا أن يحرك لسانه فإن لم يحرك بها لسانه وإنما هي ثنيا في نفسه حنث فما ورد عليك من هذه الأشياء فضعفه على وجهين ابن رشد تفرقته بين النية والثنيا صحيحة لأن النية هي أن يريد الرجل بيمينه ما يحتمله كلامه، وإن كان مخالفا لظاهره فإذا عقد يمينه على شيء نواه صحت له نيته وإن لم يحرك بها لسانه على ما ذكر وهذا مما لا خلاف فيه، وأما الثنيا فهي ما يستدركه الرجل بالاستثناء بعد أن فرطت منه اليمين دون نية وذكر، وذلك على وجهين أحدهما: استثناء يخرج من الجملة بعض ما اقتضاه اللفظ العام والعدد المسمى في جميع الأحوال، والثاني: استثناء يخرج به جميع الجملة في بعض الأحوال فالأول هو الاستثناء وسائر حروف الاستثناء مثاله أن يقول والله لأعطين القرشي إلا فلانا ثلاثة دراهم إلا درهما فأخرجت من القرشي فلانا بالاستثناء وأخرجت من الثلاثة دراهم درهما بالاستثناء .

*****

فهذا القسم من الاستثناء المشهور فيه في المذهب أن النية فيه لا تنفع وأنه لابد فيه من تحريك اللسان كما قال في هذه الرواية وقد مضى في آخر سماع أشهب لمالك خلافه ووجه القول الأول القياس على ما أجمعوا عليه في الاستثناء بمشيئة الله أنه لابد فيه من تحريك اللسان، ووجه القول الثاني حقيقة الكلام إنما هو المعنى القائم بالقلب، وتحريك اللسان عبارة عنه كالرمز والإشارة والكتابة فإذا استثنى في نفسه وجب أن ينفعه استثناؤه وإن لم يحرك به لسانه على هذا تاتي رواية أشهب عن مالك في كتاب الأيمان: فالطلاق ان من أجمع في نفسه أنه قد طلق امرأته فقد لزمه الطلاق والأصل في ذلك إجماعهم على أن من اعتقد الأيمان في قلبه فهو مومن عند الله وإن لم يلفظ بكلمة التوحيد وأن من اعتقد الكفر بقلبه فهو كافر عند الله وإن لم يلفظ بكلمة الكفر وأما الاستثناء الذي يخرج به جميع الجملة في بعض الأحوال فهو الاستثناء بأن وبإلا، مثاله: أن يقول والله لأعطين القرشي ثلاثة دراهم إن كان كذا وكذا، وإلا أن يكون كذا فهذا لابد فيه من تحريك اللسان قولا واحدا لأنه في معنى الاستثناء، بإن شاء الله وإلا أن يشاء الله ومن أهل العلم من شذ فأجاز الاستثناء في القلب بمشيئة الله وعلى هذا يحمل ما روى عن ابن عباس من إجازة الاستثناء بعد عام اي أنه أظهر بعد عام من الاستثناء ما كان اعتقده حين اليمين إذ لا اختلاف بين أحد من أهل العلم في أن الاستثناء لابد أن يكون موصولا باليمين بل قد قال ابن المواز لابد أن ينويه قبل ءاخر حرف من اليمين يريد من الكلام الذي تمت به اليمين هذا معنى قوله الذي يجب أن يحمل عليه كلامه وقد قيل أن الاستثناء من العدد لابد أن يعقد عليه يمينه كالنية ولا يجوز له أن يستدركه إن وصله بيمين أو قبل ءاخر حرف من كلامه مثل أن يقول: امرأتي طالق ثلاثا إلا واحدة، والقولان قائمان من المدونة هـ.

*****

وقد صرح كما رأيت أن المشهور وهو رواية ابن القاسم عن مالك اشتراط حركة اللسان في الثنيا وعدم الاكتفاء بالنية قياسا على الاستثناء بالمشيئة وهذا خلاف مقتضى قول الشهاب إذ مقتضاه أن النية إذا لحقت وتعلقت بإخراج بعض أفراد العام كرت على عمومه بالتخصيص وإن لم والجواب من وجهين.

*****

أحدهما أن الشهاب إنما زعم أن هذه النية اللاحقة تكن على العموم بالتخصيص بمعنى أنه مقتضاها وليس في هذا القدر ما يفيد أن ذلك معتبر شرعا أو غير معتبر.

*****

وثانيهما: أن الشهاب قد لا يسلم أن عدم الاكتفاء بالنية في الثنيا على المشهور، أنه لا يعتبر مجرد الاستثناء بالنية كما هو ظاهر كلام ابن رشد بل يرى أن معناه أنه لا يعتبر نية لفظ الاستثناء على المشهور وأما الإخراج بالنية فمعتبر وليس محل خلاف وهكذا قرر ابن المواز الخلاف في الثنيا بالنية ونقله اللخمي وكذلك الشهاب في الفرق الثلاثين ومائة.

*****

قال ما نصه: المسألة العاشرة التي لا تنوب فيها النية ولا تؤثر قال اللخمي قال محمد: إذا قال والله لقد لقيت القوم وينوي في نفسه إلا فلانا لا تجزئ فيه النية عن قوله إلا ويحنث لأنه لم يلقه وسبب ذلك أنه لو قصد التخصيص والمحاشات نفعه لأنه مجاز في ظاهر والمجاز في الظاهر تكفي فيه النية ولكنه قصد إلى الإخراج باللفظ ولم يقصد الإخراج بالنية، والنية شأنها أن تؤثر لا أنها تقوم مقام مؤثر ءاخر ويضاف التأثير لذلك المؤثر الآخر، وهو قصد أن يكون الإخراج للاستثناء لا للنية فمن هاهنا هو سبب عدم تأثيرها وعدم اعتبارها ولو قصد الإخراج بها...

في ظلال الحديث

الحديث الواحد والعشرون والمائة: أحكام وآداب أيام العيد

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب". أخرجه الترمذي

الحلقة الثانية

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في أيام التشريق(773/143/3)، وابن حبان في صحيحه (3603/368/8)والنسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب النهي عن صوم يوم عرفة(3004/252/5) وأبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب النهي عن صيام أيام التشريق(2419/320/2).

درجة الحديث:

حديث أخرجه أبو عيسى الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وأورده الألباني في صحيح أبي داود رقم 2090 ورمز إليه بالصحة.

سند الحديث:

هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حدثنا هناد حدثنا وكيع عن موسى بن علي عن أبيه عن عقبة بن عامر... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا هناد: هو أبو السري، هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر التميمي الدارمي الكوفي، من كبار الأتباع، روى عن عبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض وقبيصة بن عقبة وبقي بن مخلد الأندلسي وغيرهم... وروى عنه البخاري في خلق أفعال العباد والباقون. قال الإسفراييني سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن من نكتب بالكوفة؟ فقال: عليكم بهناد، وقال أبو حاتم: صدوق وقال أبو عبيد الآجري وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. مات رحمه الله، يوم الأربعاء آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين ومئتين (243)بالكوفة.

حدثنا وكيع هو أبو سفيان وكيع بن الجراح، بن مليح الإمام الحافظ الثبت محدث العراق الرواسي الكوفي، ثقة كان يفتي وهو أثبت في سفيان من جماعة ذكرهم، ولد سنة تسع وعشرين ومائة (129). سمع هشام بن عروة والأعمش وسفيان والأوزاعي وخلائق، وعنه ابن المبارك مع تقدمه وأحمد وابن المديني ويحيى ابن معين وأمم سواهم، وكان أبوه على بيت المال وأراد الرشيد أن يولي وكيعا قضاء الكوفة فامتنع، قال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعا في السفر والحضر فكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة قال يحيى ابن معين وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه وقال أحمد: مارأيت أوعى للعلم ولاأحفظ من وكيع، مناقبه كثيرة، وثناء العلماء عليه أكثر من أن يحصر، توفي رحمه الله سنة 196.

عن موسى بن علي: هو أبو عبد الرحمن موسى بن علي بن رباح الإسكندراني اللخمي من ثقات المصريين ومتقنيهم، كان واليا على مصر. روى عن أبيه والزهري وحبان بن أبي حبلة، وروى عنه الليث وابن لهيعة وأسامة بن زيد وابن المبارك وابن وهب والمقرئ وأبو نعيم... قال يحيى بن معين ثقة، حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عن موسى بن علي فقال: كان رجلا صالحا وكان يتقن حديثه لايزيد ولاينقص صالح الحديث وكان من ثقات المصريين. كان مولده سنة تسع وثمانين (89) بالمغرب ومات رحمه الله بالإسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة(163). روى له البخاري في الأدب والباقون.

عن أبيه: هو علي بن رباح اللخمي، والد موسى مصري. روى عن عقبة بن عامر وفضالة بن عبيد وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو وأبي قتادة الأنصاري ومسلمة بن مخلد ومعاوية، وروى عنه الحارث بن يزيد الحضرمي ويزيد بن أبي حبيب وابنه موسى....قال أحمد بن حنبل ما علمت إلا خيرا، وقال العجلي مصري تابعي ثقة وقال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. توفي سنة أربعة عشرة ومائة (114) روى له البخاري في الأدب وفي أفعال العباد وروى له الباقون.

عن عقبة بن عامر: هو عقبة بن عامر بن هبس بن عمرو الجهني الصحابي المشهور. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأبو أمامة وأبو ادريس الخولاني وخلق من أهل مصر قال أبو سعيد بن يونس كان قارئا عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرا كاتبا وهو أحد من جمع القرآن، شهد الفتوح وكان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق وشهد صفين مع معاوية وأمره بعد ذلك على مصر، مات رضي الله عنه في خلافة معاوية على الصحيح سنة ثمان وخمسين (58). روى له الجماعة.

أهمية الحديث:

هذا ذو أهمية خاصة حيث يبين فيه النبي الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه، لأمته أن هذه الأيام (من يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق) هي أيام طاعة وتقرب إلى الله تعالى، بذكره وشكره على نعمه، ومن ذلك صوم يوم عرفة، والتكبير والتحميد والتسبيح والتهليل يوم العيد والأكل والشرب والفرح والسرور أيام التشريق لتتميز الأمة عن غيرها، لأن الأعياد من المكونات الحضارية والثقافية الخاصة بكل أمة، وهذه أيام عيدنا...

مفردات الحديث:

"يوم النحر": يوم عيد الأضحى، وسمي بيوم النحر لأنه تنحر فيه الأضاحي.

"أيام التشريق": الأيام الثلاثة التي تلي يوم عيد الأضحى.

المعنى العام:

1. يوم عرفة من الأيام الفاضلة، تجاب فيه الدعوات، وتقال العثرات، ويباهي الله فيه الملائكة بأهل عرفات، وهو يوم عظم الله أمره، ورفع على الأيام قدره. وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، ويوم مغفرة الذنوب والعتق من النيران.

هو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، وهو يوم عيد لأهل الإسلام، ولقد أقسم الله به، والعظيم لايقسم إلا بعظيم، وهو اليوم المشهود، صيامه يكفر سنتين، فقد ورد عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة فقال: "يكفر السنة الماضية والسنة القابلة" (رواه مسلم).

وهو يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟" وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثا غبرا"(رواه أحمد وصححه الألباني).

2. العيد في الإسلام:

لما أشرقت شمس الرسالة المحمدية على العالم، ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فكرة الأعياد ضوءا جديدا، وصحح المفهوم السائد... إنه لم يوغل في فكرة المادية... ولم يغرق أصحابه في تزمت الرهبانية ونفورها، ولكنه عليه الصلاة والسلام جمع بين نزعة الجسم، ونقاء الروح، وأضاف إليهما عناصر صالحة، وأزال منها أمور فاسدة، ثم كون من ذلك صورة حية كلها طهارة وكرامة وصون وعفاف...

يقول ابن تيمية رحمه في كتابه (اقتفاء صراط المستقيم، ومخالفة أصحاب الجحيم)، "إن الإسلام لم يجئ لإزالة الفطرة الإنسانية، بل إنه يوجهها توجيها نافعا، فإن الفطرة لاتزول ولكنها تحول... لقد صرف محمد صلى الله عليه وسلم شجاعة العرب من المنافسات القبلية، والتقاتل وأخذ الثأر، والأحقاد القديمة... إلى الجهاد في سبيل الله، وشغلهم عن الجاهلية بالإسلام، وصرف تبذيرهم وسماحتهم، إلى الإنفاق في سبيل الله. وأعطى النفس حقها من الترويح والنشاط".

وفي سنن أبي داود وأحمد والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، قال ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، قال: إن الله قد أبدلكم بهما خيرا، يوم الأضحى ويوم الفطر".

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها: "دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان، بما تقاولت به الأنصار (يوم بعاث) قالت وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله؟ وذلك يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياأبا بكر، إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا... وفي رواية أنه قال: دعها ياأبا بكر فإنهما أيام عيد".

فاللهو المباح واللهو البريء، والغناء الحسن، من شعائر الدين التي شرعها الله في يوم العيد، رياضة للبدن وترويحا للنفس.

3. صلاة العيد

شرعت صلاة العيد في السنة الأولى من الهجرة، وهي سنة مؤكدة واظب عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا لها، وهي شعيرة من شعائر الإسلام، ومظهر من مظاهره التي يتجلى فيها الإيمان والتقوى.

ووقتها من ارتفاع الشمس قيد رمح إلى الزوال، ومن سنته صلى الله عليه وسلم تعجيل صلاة الأضحى ليتمكن الناس من ذبح أضاحيهم، وأن تؤخر صلاة الفطر ليتمكن الناس من إخراج صدقاتهم، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل هكذا، روى الشافعي مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم، وهو بنجران: "أن عجل الأضحى، وأخر الفطر، وذكر الناس".

وتصح صلاة العيد من الرجال والنساء والصبيان مسافرين كانوا أو مقيمين في المسجد أو في المصلى، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا عيدنا أهل الإسلام". وأمر أنس بن مالك مولاهم ابن أبي عتبة بالزاوية فجمع أهله وبنيه وصلى كصلاة أهل المصر وتكبيرهم. وقال عكرمة: أهل السواد يجتمعون في العيد يصلون ركعتين كما يصنع الإمام. وقال عطاء: إذا فاته العيد صلى ركعتين.

4. آداب العيد

للعيد في الإسلام آداب يتأدب بها المسلم فيتميز عن غيره ويفرح بنفسه وعمله، ويرضي ربه

×الغسل والتطيب ولبس الجميل من الثياب، لقول أنس رضي الله عنه: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العيدين، أن نلبس أجود مانجد، وأن نتطيب بأجود مانجد، وأن نضحي بأثمن مانجد" رواه الحاكم وسنده لابأس به.

قال ابن القيم في زاد المعاد: وكان يلبس للخروج إليهما أجمل ثيابه، فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة، وفي هذا دليل على أن للعيدين والجمعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة عظيمة ولذا كان يتزين لهما.

×الأكل قبل الخروج إلى صلاة الفطر، والأكل من كبد الأضحية بعد الصلاة في عيد الأضحى فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايغدو يوم الفطر حتى يأكل ولا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع فيأكل من أضحيته× رواه أحمد.

×التكبير من ليلتي العيدين، ويستمر في الأضحى إلى آخر أيام التشريق وفي الفطر إلى أن يخرج الإمام للصلاة.

×الخروج إلى المصلى من طريق والرجوع من طريق أخرى، قال جابر رضي الله عنه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق" رواه البخاري.

×التهنئة بقول المسلم لأخيه: تقبل الله منا ومنك، لما روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى بعضهم ببعض يوم العيد قالوا: "تقبل الله منا ومنكم" رواه أحمد بسند جيد.

×عدم الحرج في التوسع في الأكل والشرب واللهو المباح، لما سبق آنفا من الأدلة.

×التصدق بثلث الأضحية، إن أمكن مع الاستضافة وتبادل الزيارات، وتجنب ما ألفه بعض الناس من إغلاق البيوت أيام العيد وادخار اللحوم في الثلاجات، فهذا بخل وشح نسأل الله تعالى أن يعافينا، فهذه الأيام كما جاء واضحا جليا في الحديث، أيام أكل وشرب وفرح وسرور وما يؤدي إلى ذلك في غير معصية ولا فاحشة...

×كل أعمال البر والخير وخصوصا التغافر والتزاور وصلة الأرحام...

نسأل الله العلي القدير أن يعيده على أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين، بالنصر والتمكين، والعزة والرفعة، وعلى سائر المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات... إنه قريب سميع مجيب الدعوات والحمد لله رب العالمين.

حديث المنابر

من حكم الحج

إعداد
الأستاذ :
عبد الله
الطيبي
كديرة

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمدلله الذي شرع لعباده الشعائر التي تطهرهم وتزكيهم وترفعهم وتباركهم وتنهاهم عن المنكر والفحشاء، وتحملهم على ترك قول الزور والعمل به، وتؤدي بهم إلى التطهر قلوبا وقوالب من الرفث والفسوق والعصيان والجدال والخصام والشحناء، أشهد أن الله لا إله إلا هو وحده لاشريك له ولاند ولاظهير ولاشريك ولاصاحبة ولا ولد.. شرع لنا الحج وبث في ثنايا مناسكه وأحكامه حكما يستخلصها المؤمنون من كتابه تعالى، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ومن استقراء الواقع الحي المعيش فيمن حولهم وما يحيط بهم بالتفكر والتدبر والتذكر، عند الائتمار بأوامره تعالى، والانتهاء عن نواهيه... وفي الحج.

. وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة. قال جل من قائل: "قل صدق الله، فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا، وما كان من المشركين، إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات، مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا. ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين" (سورة آل عمران) وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبد الله ورسوله، بلغ الأمانة وأدى الرسالة، ونصح للأمة، وصدق فيما بلغ وأدى ونصح، وهو الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى، إن هوى إلا وحي يوحى، فاللهم آجزه خير ما جزيت به نبيا ورسولا بلغ وأدى ونصح، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والمهتدين بهديه، المتمسكين بسنته، المتشبثين بها العاضين عليها بالنواجذ إلى يوم الدين..

أيها المؤمنون البررة الكرام، لم يفرض الله تبارك وتعالى علينا فرضا إلا لحكمة، فهو أحكم الحاكمين، ولم يسن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لنا سنة ولا رحمة، فما أرسله الله تعالى إلا رحمة للعالمين. فماذا يمكن أن نستخلص من الحكمة والرحمة في ركن الحج وواجباته وسننه ومستحباته؟ هذه بعض الحكم أسردها عليكم غيضا من فيض، وقليلا من كثير:

1. إن الإسلام رسالة الله تعالى إلى جميع الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه وبركاته جميعا، بعثهم بها ليبلغوها عن الله تعالى صافية إلى العالمين...

2. إن سيدنا إبراهيم عليه صلاة الله وسلامه وبركاته هو خليل الرحمن وأبو العديد من الأنبياء والمرسلين حتى خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم... وكان وكانوا جميعا على نفس دين الإسلام وملته ونهجه القويم وصراطه المستقيم، لايحولون ولايزولون.

3. إنهم جميعا عليهم صلوات الله وسلامه وبركاته كانوا موحدين، يعبدون الله وحده لاشريك له، لايشركون به غيره في سرهم وعلانيتهم..

4. إن بيت الله الحرام بمكة هو البيت الأول الذي وضعه الله للناس، لتوحيده في ذاته وصفاته وأفعاله تبارك وتعالى...

5. إنه بيت مبارك، وبركته تتجلى فيما يفيضه الله تعالى به وفيه على المسلمين الموحدين. حجاجا ومعتمرين وغيرهم ممن يتوقد في قلوبهم الشوق للحج والاعتمار. من الخير الوفير، والبر العزيز، والفضل الكبير، والثواب الكثير، ومايجود به لهم سبحانه إن أذنبوا وأساؤوا، ثم ندموا وتابوا، من الغفران والتكفير لذنوبهم وسيئاتهم رحمة منه وإحسانا...

6. إنه هدى للعالمين، أي هو قبلة العالمين يوحد وجهتهم واتجاههم وقصدهم وعزمهم وإرادتهم نحو توحيدهم وإسلامهم لرب العالمين، وذلك برعايتهم لحرمات الله في أنفسهم، وفي إخوانهم في إنسانيتهم، وقيامهم بحقوق أولئك الإخوان، وفي اعتبارهم ذلك البيت نفسه هو أيضا من مشاعر الله ،ومكانا لشعائره، يحترم ويوقر ويرعى ويصان، ويرعى ويصان أيضا من فيه ومافيه.. وذلك كله يكون لهم هداية إلى مايرضي الله ثم يرضيهم ليكونوا ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

7. وهذا البيت فيه آيات بينات، أي علامات واضحات لا لبس فيها ولاغموض، وهي:

أ. استمرار هذا البيت مهوى أفئدة الناس على مر العصور والدهور، تحن إليه وتفد عليه من كل أصقاع الأرض...

ب. إنه تجبى إليه ثمرات كل شيء من خيرات الأرض وغلاتها ومصنوعاتها، والتاريخ والواقع يشهدان... وليس من رأى كمن سمع...

جـ. ومن آياته البينات الباقية الخالدة (مقام إبراهيم) وهو الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم عليه صلاة الله وسلامه وبركاته حين كان يرفع القواعد من البيت، لتجديد بنائه، وفيه آية بينة، هي تأثير قدمه عليه السلام في ذلك الحجر الصلد الأصم، وانطباع ذلك الأثر عليه وبقاؤه على مر العصور والدهور...

د. ومن الآيات البينات أيضا في هذا البيت أمن من يدخله في الجاهلية والإسلام، حتى بلغ من ذلك أن سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قال: لو أنني أقابل قاتل الخطاب (يعني والده) في الحرم، ما امتدت يدي إليه بشر أو سوء.. وكل هذا الأمن المستمر الدائم المتواصل ببركة دعاء سيدنا إبراهيم عليه صلاة الله وسلامه وبركاته: "رب اجعل البلد آمنا" في سورة إبراهيم.

ومن الأدعية المحفوظة المأثورة عن الصالحين من الطائفين بهذا البيت العتيق الكريم العظيم هذا الدعاء المؤثر ونختم به الخطبة الأولى هذه داعين متضرعين مبتهلين: "يامن لايشغله سمع عن سمع، ويامن لاتغلطه المسائل، ويامن لايتبرم بإلحاح الملحين، أذقني برد عفوك، وحلاوة رحمتك" آمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خاطبه مبتهلا ضارعا عبد من عباده في بيته الحرام، فقال: "يارب سائلك ببابك مضت أيامه وبقيت آثامه، وانقطعت شهوته وبقيت تبعته، فارض عنه، واعف عنه، فإما يعفى عن المسيء ويثاب المحسن، وأنت أفضل من يدعى وأكرم من يرجى" هو الله الذي نشهد بيقين راسخ مكين متين أنه لا إله إلا هو وحده لاشريك له... ونشهد بحق وصدق وجزم لاريب فيه ولاشك أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله، قال وهو الذي لم يقل إلا حقا وصدقا، فقد سئل: "...يارسول الله، مابر الحج؟ فأجاب قائلا: "إطعام الطعام، وإفشاء (أي نشر وإشاعة) السلام" رواه أحمد والطبراني وزاد البيهقي: "وطيب الكلام"

صلى الله عليه واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وعلى كل من سار على سننه وهديه إلى يوم الدين، فقد عاش على نفع الإنسانية يطبق مادعا إليه من إطعام الطعام وإفشاء السلام وطيب الكلام.. فقد فتح الله عليه مكة، فدخلها منحنيا متواضعا، فلما نزل واطمأن الناس، طاف بالبيت ودخل الكعبة ثم خرج ووقف على بابها، وخطب، فكان مما قال: "... يامعشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من أب وأم، من آدم، وآدم من تراب، ثم قرأ هذه الآية الكريمة: "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات:12)، ثم قال: يامعشر قريش، ماترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا أخ كريم، وابن أخ كريم، ثم قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"... هذا ماضربه لنا من المثل الأعلى...

فالقصد إلى هذا البيت للحج والعمرة هو لحكمة مقاومة أهواء النفوس وشهواتها، وتربيتها بالأخلاق القويمة، وتهذيبها بأصناف السلوك المستقيمة، وتطهيرها من كل رذيلة ودنية، ولا سيما رذيلة الانتقام... فالإسلام يأمر بالعفو والصفح والسلام... وتعويد النفوس على عبادة الله وطاعته بأنواع التقوى والمروءة في بيت الله. بل في كل مكان. لأن أرض الله الطيبة يجب أن تكون موطن النقاء والصفاء وحسن التعامل مع كل الخلق... وهذا دعاء صالح دعا به أحد الصالحين في بيت الله الحرام ندعو به نحن جميعا في هذا المسجد المبارك في هذا اليوم المبارك في هذه الساعة المباركة موقنين بالإجابة إن شاء الله تعالى: "إلهي وسيدي، عظيم الذنب المكروب، وعن صالح الأعمال مطرود، وقد أصبحت ذا فاقة إلى رحمتك يامولاي.. إلهي وسيدي ومولاي، أضحكت الأرض بالزهرة، وأمطرت السماء بالرحمة، فبحقك وما أعطيت من النعيم والرضوان والغفران للموحدين، إن نفسي لواثقة لي ولهم منك بالرضا، وكيف لايكون كذلك وأنت حبيب من تحبب إليك، وقرة عين من لاذبك وانقطع إليك..."فارحم أمة الإسلام وانصرها وأعزها بالإيمان ومكارم الأخلاق واغفر لكل عاص منها وتقبل توبته واستر سوأته وأقل عثرته وارحم عبرته... مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين أعز اللهم أمره واجعل إلى الميراث والمكرمات والنجاح والتوفيق سيره، واجعل إلى الصلاح والإصلاح علنه وسره، وأقر عينه بسمو ولي عهده الحسن الأحسن صاحب السمو الملكي مولاي الحسن، واجعل إلى النجاح والفلاح أمره.. واشدد بالود والرحمة والحب والألفة بأخيه السديد الرشيد صاحب السمو الملكي مولاي الرشيد عضده وأزره.. وبكل أهله وبطانته وحاشيته وشعبه.. وحقق بهم جميعا تحت لوائه وظله لوطننا الحبيب عزه وسؤدده وفخره.. وارحم مولانا الحسن الثاني ومولانا محمد الخامس رحمة واسعة تقر بهما بها منك مع كل الذين أنعمت عليهم ورضيت عنهم من كل صالح تقي نقي صفي شرحت صدره ورفعت عنه وزره الذي أنقض ظهره ورفعت له ذكره، مع الكرام السفرة البررة، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة.. اللهم ارحم والدينا واشياخنا ومن له الفضل علينا.. وأصلح أبناءنا وبناتنا وكل ذرياتنا، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين واغفر ذنوبنا وفرج كروبنا واسترعيوبنا وأجر على ألسنتنا وجوارحنا الخير والبر، وأنبض به قلوبنا، ولاتسلط علينا بذنوبنا من لايخافك ولا يرحمنا.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإخلاص في العمل

إعداد الأستاذ:
عبد العزيز كنون

الإخلاص

هو الروح السارية في الإيمان عقيدة أو عبادة أو معاملة، وبغير الإخلاص تصبح أعمال المسلم نواة لاروح فيها، والله عز وجل يقول في كتابه الحكيم (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا) الإخلاص كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، والرياء شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فالقلوب المخلصة ترسل أشعتها فتضيئ للناس طريق النجاة والقلوب المرائية تضيء سوادا قاتما وظلمة حالكة تتعثر المجتمعات في سراديب ظلامها وقد أمر الله عباده المؤمنين بالإخلاص وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين: فالإخلاص قاعدة متينة للعمل الصالح، والقول الطيب والسعي المشكور والجهاد المبرور ويجب أن يكون أساس الإيمان للمرء وإسلامه فبدونه تحبط الأعمال ويضعف الإيمان والعبادة إذا خلت من الإخلاص شابه لون من الشرك الخفي الذي هو الرياء، والرياء نقيض الإخلاص.

بعث الله عز وجل نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا إلى الناس أجمعين وأنزل معه الكتاب المبين فيه الحق الواضح والدين الخالص والآداب القيمة يخرجهم من ظلمات الجهالة وينقذهم من فساد العقيدة وسيئ الأعمال إذ الحياة مع الجهل تعاسة وشقاء والعلم بدون عمل ضياع وعناء، والعمل الخالي من الإخلاص نفاق ورياء، فلما جاء الإسلام كان أول مادعا إليه الإخلاص في الدين والعمل وصدق التوجه إلى الله سبحانه في جميع الأقوال والأفعال فالعمل القليل الذي أريد به وجهه الكريم ينميه عز وجل ويتقبله بقبول حسن ويضاعف لصاحبه الأجر والثواب بخلاف العمل الكثير وليس فيه إخلاص فإن الله يمحقه ويحبطه ويرده ولايقبله لأن الله تعالى طيب ولايقبل إلا طيبا ولايرفع اليد من العمل إلا ما كان لوجهه خالصا، حينما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن قال يارسول الله أوصني قال: (أخلص دينك لله يكفيك الحمل القليل) فالإخلاص هو الركن الأعظم في الدين وهو أساس العمل وسلاحه وما فاز إلا المخلصون وما خاب وخسر إلا المراءون والمنافقون، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ص قال: (من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لاشريك له وأقام الصلاة وأتى الزكاة فارقها والله عز وجل راض عنه) وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله ما الإيمان قال: الإخلاص، والإخلاص في نور القلب يدعو إلى صلاح النية وصفاء الطوية وإتقان العمل والعبادة لله وفعل الخير والأمر بالمعروف لوجه الله ذي الجلال والإكرام ومن افتقد هذا النور أظلم قلبه وفسد عمله وحبط أجره وضل سعيه وكان من الخاسرين ولاقيمة عند الله لأعمال كالجبال ليس فيها إخلاص لله تعالى، إن الذين لايقصدون بأقوالهم وأفعالهم وجه الله عز وجل بل يشركون معه غيره و لهم في تصرفاتهم غايات ومآرب أخرى من التظاهر بالكلام وحب المدح والثناء أو الخداع والتمويه والتغرير بالناس أو ليأكلوا الدنيا بالدين أو غير ذلك من أنواع المراءة وألوان الشرك الخفي فإن هؤلاء لا شيء لهم عند الله تعالى ويوم القيامة يقول الله لهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم في الدنيا وانظروا هل تجدون عندهم جزاء. وقد قال صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن أشرك معي شريكا فهو لشريكي) ياأيها الناس أخلصوا أعمالكم لله فإن الله تبارك وتعالى لايقبل من الأعمال إلا ماخلص له، ولا تقولوا هذا لله وللرحم فإنها للرحم وليس لله منها شيء ولاتقولوا هذا لله ولوجوهكم فإنها لوجوهكم وليس لله منها شيء.

الإخلاص أن يقصد بقوله وعمله وجهاده وجه الله وابتغاء مرضاته، والعمل لايعتد به ولا يعتبر خيرا إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله، لأن العمل حينما يناط بغاية واحدة ومثل أعلى هو الله، والله لايأمر إلا بالخير ولايحب إلا الخير فتكون وجهة الإنسان في الحياة وجهة الخير لنفسه وللناس جميعا، والإخلاص والنية الطيبة تبلغ بالإنسان الذروة من السمو والرفعة وتنزله منازل الأبرار، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (طوبى للمخلصين الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا أولئك هم مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء)والإخلاص نجاة لما يتعرض له المرء من محن وكما أن الاتصاف بالإخلاص والنية الطيبة تصل بالإنسان إلى المنزلة الرفيعة فالاتصاف بالرياء ونية السوء تهبط بالإنسان إلى أسفل الدركات لأن الباعث عن العمل هو العنصر الأخلاقي والرياء من شأنه أن يحجب المرء عن الله وينزل به إلى مستوى لحيوان فلا تزكو له نفس ولايقبل منه عمل ذلك أن المرائي لارأي له ولامبدأ له ولاعقيدة ولكنه كالحرباء يتلون بكل لون ويميل مع كل ريح الرياء معناه طلب المنزلة والجاه بالعبادات، والله سبحانه نهى عنه وحذر منه لما له من آثار سيئة في النفس وفي المجتمع فقال: (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور).

والإسلام يريد للإنسان أن يكون سره كإعلانه وظلمة ليله كضوء نهاره فإذا اختلف الظاهر والباطن وتعارض القول والفعل وتأرجح الإنسان بين دواعي الخير ونوازع الشر كان النفاق الذي يفقد المرء شخصيته فلا يقدر على الجهر بالحق ولايقوى على المصارحة ولا يقف موقف البطل الشجاع، وإذا عمل المرء وأخلص فيه ثم اطلع عليه الناس دون قصد منه وأعجبه ثناؤهم عليه وحمدهم له فهذا لايحبط العمل ولاينافي.

روى الترمذي عن أبي هريرة أن رجلا قال: يارسول الله، الرجل يعمل العمل فيصره بخفيه على الناس فإذا اطلع عليه أعجبه ذلك، قال صلى الله عليه وسلم له أجران، أجر السر وأجر العلانية، بل قد يكون ثناء الناس من البشريات المعجلة.

كتاب صدر

صدر عن دار الحديث الحسنية العدد الثاني من مجلتها "الواضحة" حافلة بالدراسات والأبحاث القيمة شارك بها نخبة من العلماء والباحثين في مواضيع:

1. النزعة الإصلاحية المعاصرة في التفسير بالغرب الإسلامي للأستاذ عبد الرزاق هرماس.
2. البحث في التراث الحديثي بين الواقع والنهج الأمثل للأستاذ عبد اللطيف بن محمد الجيلاني.
3. الاستشراق والسيرة النبوية للأستاذ مصطفى المسلوني.
4. علم أصول الفقه وقضايا الاستناد والاستمداد للأستاذ عبد المجيد مجيب.
5. علاقة الإنتاج الفقهي بعلم أصول الفقه المدون للأستاذ الناجي لمين.

وغيرها من المواضيع العامة.

الخازن

■ الأستاذ: احمد باكو

معنى هذه الكلمة واضح، فهي من خزن المال وغيره يخزنه خزنا (من باب نصر) بمعنى حفظه بما يجب أن يحتفظ به. ومن هذا الفعل أيضا خرجت كلمتا الخزينة أو الخزانة التي هي أداة أو مكان حفظ الشيء.

وحين يكون المال هو موضوع الحفظ، فإن خازنه يعنى عرفا أن يقوم بتدبيره بقبض مايجب قبضه وانفاقه بنظام، وتقديم الحساب عن ذلك لمن يجب.

وقد أصبح هذا العمل اليوم وظيفة مشهورة بعد أن ظهرت الجمعيات التي لابد أن تكون لها خزينة وخازن، يختص بإدارة أموالها.

إلا أنه يلاحظ غياب هذه الكلمة والتعبير عن مسماها بالأمين أو أمين المال وكلتا الكلمتين معيبة، لأن الأمين حين تستعمل بمجردها تدل على ما هو أوسع من حافظ المال وتفيد ماتفيده كلمة القيم أو الرئيس، وحين نضيفها إلى المال، فإننا نقع في محظور آخر هو أن يصبح الاسم مكونا من شبه جملة، وهو عيب يتعين اجتنابه لوجود اسم من كلمة واحدة لهذا المسمى يغني عن التعبير عنه بالجملة.

ومن تم كان الخازن هي الكلمة التي يتعين استعمالها اليوم مكان الأمين أو أمين المال الشائعة.

مسطرة معتنق الإسلام بالمغرب

إعداد : جمال الدين بن العربي

قراءة في مضمون مناشير زواج معتنق الاسلام

قبل الحديث عن قراءتنا لمضمون المناشير المنظمة لزواج معتنق الإسلام لابد من بسط الشروط الواجب توفرها في هذا النوع من الزواج.

شروط ينبغي توفرها في زواج معتنق الإسلام

سوف يجري الحديث هنا عن الشروط التي ينبغي للوكيل العام للملك أن يتحقق منها قبل إقدامه على منح الإذن في زواج معتنق الإسلام ،وهي الخلو من الموانع الشرعية المذكورة في مدونة الأسرة سواء المؤبدة أو المؤقتة ،وكذا حسن السلوك والابتعاد عن الشبهات، والشروط مذكورة في المناشير الوزارية التي تحدثنا عنها آنفا.

1. الخلو من موانع الزواج

لقد ألزم وزير العدل في المنشور (عدد 854) الوكلاء العامين للملك بعدم منح الإذن في زواج معتنقي الإسلام إلا بعد التأكد من انتفاء موانع الزواج بالسنة للزوجة والزوج حتى يكون العقد مطابقا لقواعد الفقه الإسلامي ولا يتعارض مع النظام العام المقرر في بلده الأصلي ، فالزواج لا يقع حلالا إلا إذا انتفت الموانع الشرعية كما صرحت بذلك المادة 135 التي قال فيها المشرع « يجب أن تتوفر في عقد الزواج الشروط الآتية 1....5 انتفاء الموانع الشرعية » وقد فصلت المواد من 35 إلى 46 أنواعها وأحكامها.

وسوف لن نفصل الحديث عنها باعتبار هاته المواد كافية في دلالاتها.

2. حسن السلوك والابتعاد عن الشبهات:

يعتبر الإسلام حقيقة كونية لا ينكرها إلا جاحد، فهو ليس شعائر دينية فقط كما يعتقد البعض إنه بجانب ذلك حكم ، اقتصاد ، سياسة ، فن، أخلاق وبالجملة فالإسلام منهج للحياة متميز في خصائصه يلبي شوق الإنسان الروحي والمادي في كل زمان ومكان.

وللإسلام منهج معجز في بناء الأسرة ضمن منهجه العام المستوعب لكل مجالات الحياة، فقد حدد مواصفات المقومات الأسرية، فقد روى الإمام البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

بجانب ذلك أعطى للزوجة الحرية، في اختيار الزوج شريك حياتها والحق في رفضه إذا كان سيء الأخلاق أو فيه مواصفات خبيثة من شأنها ان تؤثر على الحياة الزوجية في المستقبل.

وتماشيا مع هذه السياسة الإسلامية في بناء المؤسسات الأسرية ، الزمت المناشير المتعلقة بزواج معتنقي الإسلام الوكيل العام للملك بعدم منح الإذن المخول له في هذا الزواج إلا بعد أن يتأكد أن هذا الأخير حسن الأخلاق حميد الخصال، لا تحوم حوله شبهات ولا مواصفات تتعارض مع طبيعة النظام والأمن العامين كأن يكون متابعا من طرف القضاء بجرائم اعتداء أو مؤامرة ضد الملك أو الأسرة الملكية أو شكل الحكومة أو تعلق الأمر بجرائم مشينة تشمئز منها النفس الإنسانية السليمة كالجنايات والجنح ضد الأمن العام تكوين العصابات الإجرامية أو التعاون مع المجرمين ولهذا نجد شهادة حسن السلوك وعدم السوابق العدلية من بين الوثائق الضرورية لتكوين ملف زواج معتنقي الإسلام أمام القضاء المغربي تفاديا للآثار الوخيمة التي تمس بالجانب الأمني والنظام العام لبلادنا.

ونية المشرع المغربي في ذلك واضحة وهي مصلحة الأسرة أولا والزوجة ثانيا فمصلحة الأسرة المغربية تقتضي أن يكون الزوج صالحا مصلحا حتى ينجب ذرية صالحة تساهم في بناء المجتمع وإدماجه في التنمية الحقيقية لا الزائفة ولن يتأتى له ذلك إلا بتربيتهم التربية الحسنة التي تؤهلهم لمواجهة خط الميوعة والفساد الأخلاقي الذي يضرب أطنابه في عمق المجتمع. ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى التربية والإيمان عاملين أساسين في العلاقة بين الزوج والزوجة منذ الخطبة إلى حين العقد بها بل حتى بعد انفصام الرابطة الزوجية وتصفية التركة.

كما أن مصلحة الزوجة تقضي مراعاة هذا الشرط حتى تحيا حياتها الزوجية في أمان واطمئنان بعيدا عن التصدع الأسري والتفكك العائلي الذي ينخر كيان المجتمع ويساهم في تخلفه.

فالزوج قد يكون غير صادق في اعتناقه الإسلام وإنما يتخذه وسيلة لتحقيق أغراض ليس لها علاقة بالأسرة، ولهذا لابد من التحقق على الأقل من المظاهر الخارجية وعدم السوابق العدلية والله يتولى السرائر ، وفي سبيل ذلك ينبغي للوكيل العام للملك أن يولي الملفات التي يرفعها له قاضي التوثيق كامل العناية والاهتمام لأن الأمر خطير ويمس آخر خلية تضمن للمجتمع المغربي كيانه وهويته.

قراءة في مضمون مناشير زواج معتنقي الإسلام

إن قراءة في المناشير المتعلقة بزواج معتنقي الإسلام تستوجب منا الوقوف على الوثائق المتطلبة لتكوين ملف زواج معتنقي الإسلام أمام القضاء المغربي . كما تستوقفنا نقطة جوهرية ومهمة ، ونحن بصدد هذه القراءة ويتعلق الأمر بدور الوكيل العام للملك لدى محاكم الإستئناف في إبرام وصحة هذا الزواج.

أ. دور الوكيل العام للملك.

سبق التأكيد أن وزارة العدل كانت تستأثر لنفسها بمنح الإذن في زواج معتنقي الإسلام قبل صدور المنشور رقم 854 الصادر بتاريخ 1979/05/17. غير ان تكاثر الطالبات في هذا النوع من الزواج على الوزارة من مختلف أنحاء المملكة المغربية ومراعاة للمشاق التي كان يتعرض لها المعنيون بالأمر الذين كانوا يترددون من مناطق بعيدة جدا لمعرفة الوضعية التي آلت إليها ملفاتهم ، أهي مقبولة أم تم رفضها لنقصان إحدى الوثائق الضرورية كما أن الملفات التي استوفت جميع الشروط وتضمنت جميع الوثائق تلقى التأخير والمماطلة إن بقصد أو غير قصد ناتج بالأساس عن تبادل المراسلات بين وزارة العدل والنيابة العامة في شأن استكمال عناصر الملف وتصحيح أغلاطه وسد ثغراته ، وهذا ما دفع الوزارة المعنية إلى التفكير في تبسيط هذه المسطرة بغية التخفيف من حدة النتائج الوخيمة المترتبة عن ذلك التماطل والتأخير، وقد تجسد ذلك في تكليف الوكلاء العامين للملك لدى محاكم الاستئناف بمنح هذا الإذن مسايرة لسياسة اللامركزية التي سعت الوزارة عبر مناشيرها وخاصة المنشور عدد 854 الآنف الذكر جاهدة إلى تطبيقها في مختلف مرافقها.

وبهذا أصبح من الضروري على قضاة التوثيق رفع ملفات زواج معتنقي الإسلام إلى الوكلاء العامين للملك لأخذ الإذن أو رفضه لأن هذا الإذن أضحى لازما في جميع الحالات التي يكون فيها احد طرفي العقد أجنبيا سواء أريد إبرامه لأول مرة أو مجرد إثباته بالبينة الشرعية.

غير أن منح هذا الإذن من طرف الوكيل العام للملك لابد أن يسبقه إجراء بحث شامل بواسطة الجهات المعنية وذلك للتأكد من عدم وجود موانع الزواج ليكون العقد مطابقا للقانون المغربي ولا يتعارض مع قواعد النظام العام في المملكة وإذا كان الوكيل العام للملك يعتبر ممثلا للسلطة التنفيذية في المحكمة حيث يتصرف باسم وزير العدل اعتبارا لتسلسل السلط ، فإنه أيضا يعتبر ممثلا للمجتمع ، لذلك لا يجوز تجريحه ولا مساءلته عندما يرفض منح الإذن بزواج معتنقي الإسلام لأنه يقوم بالدفاع عن كيان المجتمع ، كما أنه يعتبر خصما شريفا يبحث دائما عن العدالة والحق.

ومن ثم كان أعضاء النيابة العامة غير مسؤولين جنائيا ولا مدنيا ، وعليه لا يجوز للمتضرر من قرار الرفض المتخذ من طرف الوكيل العام للملك أن يلاحقه بتهمة أو تعويض ما عدا في حالة ارتكاب هذا الأخير لتدليس أو غش أو ثبت في حقه استغلال نفوذ أو تسلمه لوشوة.

كما لا يجوز لقضاة التوثيق أيضا تجريح الوكيل العام للملك عند رفعهم الملفات المتعلقة بزواج معتنقي الإسلام ويواجههم بالرفض.

ونظرا لجسامة هذه المسؤولية الملقاة على عاتق الوكيل العام للملك ، ينبغي عليه أن يولي الملفات الموكول له البث فيها أهمية قصوى وعناية بالغة كما يجب عليه أن يدرس كل حالة على حدى بظروفها الخاصة وملابساتها المتميزة ولا يعرقل منح الإذن إذا تحقق من انتفاء موانع الزواج حتى يكون عند مستوى هذه المسؤولية التي أنيطت به لأن المسؤولية تكليف أكثر منها تشريف خاصة إذا تعلق الأمر بأمور خطيرة كالزواج.

ويتعين عليه أن يتراجع عن قراره إذا ما تبين له أنه مخطئ لأن الرجوع في الخطأ وإصلاحه فضيلة، وهذا التراجع إنما سمح به اعتبارا لمبدء الوحدة في النيابة العامة وهو المبدأ الذي يخول لأعضاء النيابة العامة أن ينوب بعضهم عن البعض الأخر تفاديا للوقوع في الخطأ وإصلاحها في حالة الوقوع فيه.

معرفة المدرج في الحديث

تأليف الحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح

وهو أقسام منها ما أدرج في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلام بعض رواته بأن يذكر الصحابي أو من بعده عقيب ما يرويه من الحديث كلاما من عند نفسه فيرويه من بعده موصولا بالحديث غير فاصل بينهما بذكر قائلهة فيلتبس الأمر فيه على من لا يعلم حقيقة الحال ويتوهم أن الجميع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن أمثلته المشهورة ما رويناه في التشهد عن أبي خيثمة زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيمرة عن علقمة عن عبد الله بن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، علمه التشهد في الصلاة فقال قل: التحيات لله فذكر التشهد وفي آخره أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فإذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك إن شئت أن تقوم فقم وإن شئت أن تقعد فاقعد.

وهكذا رواه أبو خيثمة عن الحسن بن الحر فأدرج في الحديث قوله: فإذا قلت هذا إلى آخره فإنما هذا من كلام ابن مسعود لا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الدليل عليه أن الثقة الزاهد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان رواه عن رواية الحسن بن الحر كذلك واتفق حسين الجعفي وابن عجلان وغيرهما في روايتهم عن الحسن بن الحر على ترك ذكر هذا الكلام في آخر الحديث مع اتفاق كل من روى التشهد عن علقمة وعن غيره عن ابن مسعود على ذلك رواه شبابة عن أبي خيثمة ففصله أيضا.

ومن أقسام المدرج أن يكون متن الحديث عند الراوي له بإسناد إلا طرفا منه فإنه عنده بإسناد ثان فيدرجه من رواه عنه على الإسناد الأول ويحذف الإسناد الثاني ويروى جميعه بالإسناد الأول.

مثاله حديث ابن عيينة وزائدة بن قدامة عن عاصم بن كليب عن أبيه عن وائل بن حجر في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي آخره ، أنه جاء في الشتاء فرآهم يرفعون أيديهم من تحت الثياب والصواب رواية من روى عن عاصم بن كليب بهذا الإسناد صفة الصلاة خاصة وفصل ذكر رفع الأيدي عنه فرواه عن عاصم بن عبد الجبار بن وائل عن بعض أهله عن وائل ابن حجر.

ومنها أن يدرج في متن حديث بعض متن حديث آخر مخالف للأول في الإسناد مثاله رواية سعيد بن أبي مريم عن مالك عن الزهري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تنافسوا، الحديث.

فقوله لا تنافسوا أدرجه ابن أبي مريم من متن حديث آخر رواه مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة فيه « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا » والله أعلم.

ومنها أن يروى الراوي حديثا عن جماعة بينهم اختلاف في إسناده فلا يذكر الاختلاف بل تدرج روايتهم على الاتفاق.

مثاله رواية عبد الرحمان بن مهدي ومحمد بن كثير العبدي عن الثوري عن منصور والأعمش وواصل الأحدب عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود ، قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟، الحديث. وواصل إنما رواه عن أبي وائل عن عبد الله من غير ذكر عمرو بن شرحبيل بينهما والله أعلم.

واعلم أنه لا يجوز تعمد شيء من الإدراج المذكور وهذا النوع قد صنف فيه الخطيب أبو بكر كتابه الموسوم بالفصل للوصل المدرج في النقل فشفى وكفى والله أعلم.

فصل في تفضيل الحكام على المفتين والأئمة على الحكام

الإمام المحدث العز بن عبد السلام

■ إن قيل: هل يتساوى أجر الحاكم والمفتي القائمين بوظائف الحكم والفتيا أم لا؟ فالجواب أن أجر الحاكم أعظم لأنه يفتي ويلزم فله أجران: أحدهما على فتياه والآخر على إلزامه هذا إذا استوت الواقعة التي فيها الفتيا والحكم وتختلف أجورهما باختلاف ما يجلبانه من المصالح ويدرآنه من المفاسد وتصدي الحاكم للحكم أفضل من تصدي المفتي للفتيا . وأجر الإمام الأعظم أفضل من أجر المفتي والحاكم لأن ما يجلبه من المصالح ويدرؤه من المفاسد أتم وأعم وكذلك جاء في الحديث : سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، فبدأ به لعلو مرتبته وأجمع المسلمون على أن الولايات أفضل الطاعات فإن الولاة المقسطين أعظم أجرا وأجل قدرا من غيرهم لكثرة ما يجري على أيديهم من إقامة الحق ودرء الباطل ، فإن أحدهم يقول الكلمة الواحدة فيدفع بها مائة ألف مظلمة فما دونها ، أو يجلب بها مائة ألف مصلحة فما دونها ، فيا له من كلام يسير وأجر كبير، وأما ولاة السوء وقضاة الجور فمن أعظم الناس وزرا وأحطهم درجة عند الله لعموم ما يجري على أيديهم من جلب المفاسد العظام ودرء المصالح الجسام ، وإن أحدهم ليقول الكلمة الواحدة فيأثم بها ألف إثم وأكثر على حسب عموم مفسدة تلك الكلمة، وعلى حسب ما يدفعه بتلك الكلمة من مصالح المسلمين، فيا لها من صفقة خاسرة، وتجارة بائرة.

مثال ذلك: أن يأمر بقتال طائفة من المسلمين أو يأخذ أموالهم أو يتمكسهم أو يتضمن البغايا والخمور وغير ذلك من المحرمات المغضبات لرب الأرضين والسماوات وإذا أمر العادل بإبطال هذا المحرمات التي أمر بها الجائر أثيب على درء هذه المفاسد المذكورات على حسب قلتها وكثرتها وعمومها وشمولها فيا له من سعي راجح واتجار رابح.

وقد قال سيد المرسلين : « المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمان وكلتا يدي ربي يمين» ، وعلى الجملة فالعادل من الأئمة والولاة والحكام أعظم أجرا من جميع الأنام بإجماع أهل الإسلام ، لأنهم يقومون بجلب كل صالح كامل ودرء كل فاسد شامل ، فإذا أمر الإمام بجلب المصالح العامة ودرء المفاسد العامة كان له أجر بحسب ما دعا إليه من المصالح العامة وزجر عنه من المفاسد ، ولو كان ذلك بكلمة واحدة لأجر عليها بعدد متعلقاتها كما ذكرنا، وكذلك أجر أعوانه على جلب المصالح ودرء المفاسد ، فإذا أمر الإمام بالجهاد كان متسببا إلى تحصيل مصالحه بأمره الأجناد بمباشرة القتال ، ولمباشرة القتال أجر الإمام لأن الإمام متوسل إلى مصالح الجهاد ، والمقاتل مباشر لكن الظاهر أن أجر الإمام أفضل من أجر الواحد من المجاهدين ، فإذا كانوا ألفا كان لكل واحد أجر مباشرته على حسب ما باشر، وللإمام أجر تسببه إلى قتال الألف ، فقد صدر منه ألف تسبب ، وألف تسبب أفضل من مباشرة واحد لأن بتلك التسببات حصلت مصالح القتال ، ولو فرض أنه أمر واحدا بالقتال فقاتل وحصل المصلحة المأمور بها فلا شك أن المباشر أفضل من الآخر وليس أمر الحاكم لأحد أعوانه كذلك ، فالحاكم متصد لسماع الدعوى وجوابها وسماع البينة واستزكائها ثم الحكم بعد ذلك ، فقد صدر منه طاعات متعددة ولم يصدر من آحاد أعوانه سوى طاعة واحدة ، وأما المفتون فينابون على تصديهم للفتاوى وتتفاوت أجورهم بتفاوت قلة الفتاوى وكثرتها وعمومها وخصوصها.

فصل فيمن جمع بين الجور والعدل في ولايته

إن قيل : إذا جار الأئمة والحكام وعدلوا فهل يقوم عدلهم بجورهم؟

فالجواب : إن ما فوتوه من الأموال مضمون عليهم في الدين فإن أدوه برئت ذممهم وبقوا في إثم الحيلولة، وإن لم يؤدوه أخذ في الآخرة من حسناتهم ، فإن فنيت حسناتهم طرح عليهم من سيئات من ظلموه ، ثم طرحوا في الجحيم، والتقدير أخذ في الآخرة من ثواب حسناتهم فإن فنيت حسناتهم طرح عليهم من عقوبات . سيئات . من ظلموه بقدر ظلمه، وكذلك الحكم في الدماء والأبضاع والأعراض وفيما أخروه من الحقوق التي يجب تقديمها أو قدموه من الحقوق التي يجب تأخيرها ، فقد قال رب العالمين « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا» الأنبياء:الآية 47. فإن قيل : لو مات المكلف وعليه دين لم يأثم بسببه ولا بمطله فهل يؤخذ من حسناته في الآخرة بمقدارما عليه من الدين؟ قلنا: نعم يأخذ من ثواب حسناته بمقدار ما عليه من الدين وإن فنيت حسناته كما تأخذ أمواله ومساكنه وعبيده وإماؤه في الدين ، وإن لم يكن آثما بسبب الدين ولا بمطله فإن فنيت حسناته في الآخرة لم يطرح عليه من السيئات لأنه غير عاص ولا آثم ، ولا يتعجبن متعجب منه ، ذلك عدل من الله في الدنيا والآخرة.

فإن قيل : فما حكم ما يفضل عليه من الديون بعد فناء حسناته؟ قلت : الأمر في ذلك إلى الله إن شاء عوض رب الدين من عنده ، وإن شاء لم يعوضه ، وهذا موقوف على صحة الخبر فيه ولا يؤخذ من ثواب الإيمان المندوب نظر وهو داخل في عموم الحديث.

انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام ص: 96.98.

تأملات وخواطر

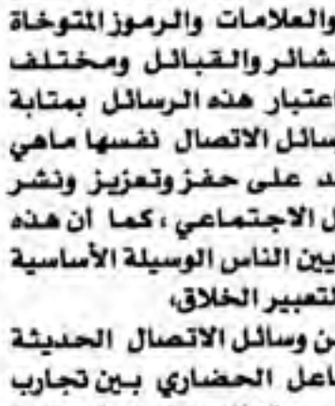

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

البحث عن ثقافة إعلامية أصيلة

وردت كلمة ثقافة في مقدمة ابن خلدون كمفردة لغوية وظل المفهوم السائد للثقافة في عصر النهضة وفي النصف الأول من القرن الحالي ، أنه الاطلاع على اللغة العربية وقواعدها والإلمام بعلوم الدين والتاريخ ثم المذاهب الفلسفية المتعددة وتاريخها. إلا أن الدارسين العرب لم يتناولوا مفهوم الثقافة كنمط عيش وقيم وسلوك وعقائد، وطرق إنتاج وإبداع.

هذا الفهم أو المفهوم لكلمة :" الثقافة" والذي كان سائدا لدى المثقفين هو الذي أدى بهم إلى الابتعاد عن الناس وتوسيع الفجوة بينهم طوال سنوات عديدة.

على أنه في عصرنا الحاضر، وبفضل تطور أساليب الاتصال المتمثلة في لغة الكلام ولغة الخطاب والعلامات والرموز المتوخاة للتفاهم والتعايش بين البشر والعشائر والقبائل ومختلف المجموعات الإنسانية المتحضرة يمكن اعتبار هذه الرسائل بمثابة الناقل الحقيقي للثقافة ، باعتبار أن وسائل الاتصال نفسها ماهي إلا أدوات ثقافية تساهم إلى حد بعيد على حفز وتعزيز ونشر الأنماط السلوكية ، وتحقيق التكامل الاجتماعي ، كما أن هذه الوسائل تشكل بالنسبة للجماهير وللايين الناس الوسيلة الأساسية للحصول على الثقافة وجميع أشكال التعبير الخلاق،

إذن فلا غنى للثقافة في عصرنا عن وسائل الاتصال الحديثة لأنه بها وبواسطتها يتم ذلك التفاعل الحضاري بين تجارب الأفراد والمجتمعات والتكامل بين قيمهم وتقاليدهم إنها بمثابة الجملة والكلمة المحركة التي تدخلنا إلى عالم الفعل إلى عالم الواقع وتدفع بنا إلى الاعتراف بحق الفرد في الثقافة والحفاظ على الهوية والإسهام في التنمية وإثراء الثقافة وصونها.

إن انتشار وسائل الإعلام وتطورها المذهل والسريع . لا ينفي دور التلفزيون في نشر الثقافة وإيصالها لجميع الشرائح الاجتماعية وإسهامه في العملية الفاعلة كالمحافظة على النسيج الثقافي في المجتمع الواحد وتحقيق تكامله والاستفادة من خبراته وتطوير تراثه وتوحيد تقاليده وقيمه وسلوكه"

إن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في بلدان عالمنا الثالث يعيبها أن تكون برامجها مستوردة مما يجعلها تشكل خطرا كبيرا على ثقافتنا وأصالتنا وقد تحد من قدرة المبدع على النقد والتحليل ومن ثم يجد نفسه في نهاية المطاف مفصولا عن الزمان والمكان، وباستيلابه هذا يساهم من غير وعي في تدمير ثقافته الوطنية ، وكذا القيم والتقاليد التي عاشها.

إن الاعتماد على النماذج المستوردة التي تعكس أنماطا شاذة من السلوكات وأساليب الحياة الغربية تعرض ذاتيتنا الثقافية للخطر ، ولذا وأمام هذا التحدي فقد حان الوقت لتكون المهمة الأولى وبكل بساطة لوسائلنا المرئية والمسموعة التعريف بمبدعيها وتناول مظاهر إبداعهم بكل أصنافه وأشكاله وألوانه واعتباره جزءا لا يتجزأ من ثقافة الأمة .

إن ضعف الإنتاج الثقافي والفني وقلتهما كما نلمس ذلك وحاجة التلفزيون إلى ملء برامج تملأ الساعات الطويلة، يؤدي ذلك الى فتح الباب على مصراعيه لكل برنامج ضحل مستورد يميع ثقافتنا ويجعلها نتاجا متخلفا لا يلبي حاجيات العصر.

إن المسألة الملحة ، بل المشكلة التي تحتاج إلى حل جذري وسريع هو هذا السؤال الملح المنتصب أمامنا ويحتاج إلى جواب هل وسائل إعلامنا المحدودة سمعية ومرئية قادرة على تحدي الوسائل العملاقة للاتصال الجماهيري العالمي الخاضع للاحتكار الشرس للشركات المتعددة الجنسيات؟ هل يوجد لدينا حل سحري لتصبح وسائل إعلامنا في مستوى وسائل الدول المتقدمة؟ إن ما تعانيه وسائلنا من ضعف وتأخر يعود بكل صراحة إلى أنه لا يزال مسؤولونا في مختلف المرافق النافذة ينظرون إلى أن المسألة الثقافية تنحصر فقط بالدرجة الأولى في نشرات الأخبار وبعض السهرات الهجينة ، ليست هناك خطة أو منهاج يحدد الدور الثقافي الحقيقي للإعلام الشيء الذي جعل الطريق بعيدا للبحث عن ثقافة إعلامية نافعة سليمة.

الثقة

إعداد الأستاذ:
عبد الغني أفقير

الثقة في الله جل وعلا
الثقة في رسول الله صلى الله عليه وسلم
الثقة في المنهج
الثقة في النفس
الثقة في وعد الله ورسوله بنصرة هذا الدين تورث طمأنينة القلب
الحمد لله الذي يبدل احوال العباد من رخاء إلى شدة ، ومن شدة إلى رخاء ليبلوهم أيهم أحسن عملا
أحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والله إن العين لتدمع ، وان القلب ليحزن، وانا لما حل بأمة النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمحزونون ، ولن أطيل الحديث عن واقع الأمة الإسلامية، ولا في تشخيص الداء، فكلنا يعرفه ، ولكن تعالوا بنا أيها الأخوة اليوم لنتحدث عن الدواء فما من مسلم صادق غيور ينظر إلى واقع الأمة الآن، إلا وهو يتساءل : ما المخرج من هذه الفتنة الحالكة والأزمة الطاحنة؟

المخرج أيها المسلمون الأفاضل ، في كلمة واحدة نعم... إنها كلمة واحدة.. إنها ..." الثقة"

1) الثقة في الله جل وعلا
2) الثقة في رسول الله صلى الله عليه وسلم .
3) الثقة في المنهج
4) الثقة في النفس
5) الثقة في وعد الله ورسوله بنصرة هذا الدين.

والله نسأل أن يذيقنا جميعا حلاوة الثقة فيه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

1) الثقة في الله جل وعلا: الثقة في الله سبحانه هي سُوَيداءُ قلب التسليم ،، ونقطة دائرة التفويض ، وروح التوكل ولبه.

فالثقة بالنسبة إلى التوكل ، كنسبة الإحسان إلى الإيمان، ولا يذوق حلاوة الثقة في الله جل وعلا ، إلا من عرفه الله بأسماء الكمال وصفات الجلال، ليعلم علم اليقين أنه ما من ذرة في الكون من السماء إلى الأرض إلا وهي في قبضة ملك الملوك جل جلاله ، فلا تسقط ورقة في مكان إلا بأمره وإلا بتقديره وإلا بعلمه سبحانه وتعالى.

مصداقا لقوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين»

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال» إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفظ القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»

وفي الصحيحين- البخاري ومسلم ، أن حبرا من أحبار اليهود أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال :

يا محمد ... إنا نجد مكتوبا عندنا في التوراة ان الله تعالى يجعل السماوات على اصبع ، والأرضين على أصبع والماء والثرى على أصبع ، والشجر على أصبع ، وسائر الخلائق على أصبع ، ثم يهزهن ويقول : انا الملك...

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بانت نواجده تصديقا لقول الخبر ، وقرأ قول الله عز وجل» وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون، هذه أيها المسلم الصادق هي" الثقة " أن تعلم يقينا أن الكون كله بيد الله ، وأن الأمر كله لله ، وأن الحكم لله ، وأن الله جل وعلا يغيب عنه شيء ولا يعزب عن علمه شيء ، فلا تظنوا أن ما يحدث الآن للمسلمين المستضعفين هناك وهنالك ، يغيب عن سمع الله ، او يغيب عن بصر الله ، أو يغيب عن تقدير الله؟

فكل شيء بقدر..

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

إن الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السماوات والأرض بخمسين الف سنة.

وانتبه أيها المسلم اللبيب ، فهذا الزمن المذكور في الحديث ليس زمن التقدير، وإنما هو زمن الكتابة ، فزمن التقدير ازلي ، فالله قدر كل شيء في الكون منذ الأزل لا يغيب شيء ولا يتأخر ولا يتخلف ، قدره الله سبحانه وتعالى وإلا ...فمن ذا الذي وثق فيه فخيبه؟

ومن ذا الذي دعاه فلم يستجب دعوته؟

ومن ذا الذي توكل عليه فلم يكفه؟
ومن ذا الذي سأله فلم يعطه؟
فمن توكل عليه كفاه...
ومن وثق فيه نجاه...
ومن فوض إليه الأمر هداه...

فما أحوج الأمة الإسلامية إلى أن تثق في الله تعالى وهي على يقين مطلق ، أنه لا تستطيع قوة على وجه الأرض أن تملك نفعا ولا ضرا لغيرها ، فضلا عن أن تملك لنفسها نفعا أو ضرا،

إنها الثقة ، التي ملأت قلب نبي الله نوح ، وهو يصنع سفينته على الرمال ، لا يرى قطرة ماء ، ويصنع الفلك ، وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال : «إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ، فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم»

ولما جد الجد ، لجأ إلى الله جل وعلا ، بكل ثقة فدعا ربه ، أني مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر،

إنها الثقة، التي ملأت قلب نبي الله إبراهيم على نبينا وعليه جميعا الصلاة والسلام حينما ألقاه قومه في النيران وأنزل له الملك الجليل سبحانه جبريل عليه السلام ، فيرد الخليل " بثقة"

« حسبنا الله ونعم الوكيل »

إنها " الثقة " التي ملأت قلب نبي الله موسى ، حينما قال له قومه : ياموسى لقد أدركنا فرعون بجنده ، فرد موسى " بثقة" : قال كلا إن معي ربي سيهدين»

إنها الثقة ، التي ملأت قلب نبي الله عيسى ، حينما سأله الحواريون أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، فلجأ عيسى " بثقة" إلى الله عز وجل «اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك ، وارزقنا وانت خير الرازقين»

إنها الثقة ، التي ملأت قلب نبي الله أيوب وهو يتضرع إلى الله بهذا الدعاء الودود، وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين»

إنها الثقة، ، التي ملأت قلب نبي الله يونس وهو في بطن الحوت في ظلمات الماء " وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات الا إله إلا الله سبحانك إني كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين»

إنها "الثقة "، التي ملأت قلب نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما حاصر المشركون الغار من كل ناحية وفي حوار آنس ووجه خائف يقول الصديق رضي الله عنه وأرضاه لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله لو نظر أحد تحت قدميه لرآنا.

فيرد النبي المجتبى صلى الله عليه وسلم " بثقة" يا أبا بكر لا تحزن ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما.. لا تحزن إن الله معنا.

إنها "الثقة" ، التي ملأت قلوب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حينما قيل لهم « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو الفضل العظيم»

إنها الثقة ، التي ملأت قلوب سحرة فرعون الذين قالوا في لحظات ، فبعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فلما ذاقت قلوبهم حلاوة الإيمان بالله ، وامتلأت " بالثقة في الله والتوكل على الله ، لخصوا هذه العقيدة الرقراقة في كلمة واحدة فقالوا ، لا ضير»

إنها الثقة ، التي ملأت قلب هاجر عليها السلام حينما وضعها إبراهيم ورضيعها عند لوحة في أعلى مكان في المسجد ، ولا يوجد أي مسجد في تلك اللحظات ، بل مكة لا يوجد فيها شيء ، ولا يوجد فيها إنس ، ووضعها ورضيعها وترك عندها جرابا فيه تمر ، وسقاءا فيه ماء وأراد ابراهيم أن ينطلق (والحديث بطوله في البخاري عن حديث ابن عباس رضي الله عنه)

وتعلقت به هاجر ، سيدة " الثقة" وسيدة اليقين ، وقالت : يا إبراهيم ... إلى من تتركنا في هذا الوادي؟

وإبراهيم لا يلتفت إليها ، وإنما جعل ينظر إلى السماء قالت هاجر : آلله أمرك بهذا: قال : نعم...

فقالت كلمة تجسد حلاوة " الثقة" ولذة اليقين ، قالت هاجر : " إذن لا يضيعنا"

كلمة ذكرتها بيسر وسلاسة ، ونحن نكتبها ونقرأها بسهولة وسلاسة ، لكنها تجسد اليقين في الله ، والثقة في الله ..

... إذن لا يضيعنا؟

وهي لا ترى إنسا ولا ماءا ولا بناءا؟

وهي لا ترى إلا جبال مكة التي أحرقتها حرارة الشمس...

وهي لا ترى إلا رمالا قد انعكست عليها اشعة الشمس الملتهبة ، فكادت الأشعة المنعكسة أن تسرق الأبصار..

" إذن لا يضيعنا " نعم والله ما ضيعها....

ونفذ الماء وانتهى التمر ، بل وجف اللبن من ثديها وراحت تجري جري الإنسان الملهوف ، تبحث عن شيء تارة على الصفا وأخرى على المروة ، وفي الشوط السابع سمعت صوتا ثم نظرت ناحية الرضيع المبارك ، فرأت الملك جبريل عليه السلام يلامس الأرض بجناحيه ، وفي رواية الطبري من حديث علي بسند حسنه الحافظ بن حجر في كتاب الحج أم جبريل عليه السلام نادى على هاجر وهي على المروى وقال لها: من أنت ؟ فقالت هاجر : انا ام ولد إبراهيم.. ولم تقل انا هاجر ، وإنما نسبت نفسها إلى إبراهيم لأن إبراهيم عليه السلام يعرفه أهل السماء.

" انا أم ولد إبراهيم " فقال لها جبريل إلى من وكلكما ؟ أي إلى من تركتكما في هذا الواد؟

فقال: إلى الله

فقال جبريل : وكلكما إلى كاف

قال تعالى » أليس الله بكاف عبده»

إنها "الثقة" التي ملأت قلب أم موسى ، فهل سمعتم أيها المسلمون في الدنيا وتاريخها أم يقال لها إن خفت على ولدك فألقيه في البحر

" وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم" لا تخافي عليه ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، واستجابت أم موسى ، "بثقة " مطلقة ، وألقت رضيعها المبارك في التابوت ، وألقته في اليم ، وتهادى التابوت في الماء ، ويقف بأمر من الله أمام قصر فرعون، إنه هو الذي يبحث عنه فرعون، لكن انظروا إلى عظمة الله ، وإلى تدبير الله لكونه وملكه جل جلاله.

(يتبع..... ص10)

الإسلام يطلب من الخصم أن ينصف عقله فلا يزجره عن حق ولا يرغمه على باطل

إعداد الأستاذ:
عثمان بن خضراء

■ لقد حرص الإسلام على استكمال تحرير الفرد من مختلف ضروب الرق الاجتماعي كيلا يقهر عن قوة ولا يركن إلى ضعف. وأول ما يبدأ به في هذا السبيل هو دعم الشخصية الفردية، والاعتراف بكرامة الفرد وأهميته في المجتمع؟ فليس الفرد مجرد آلة تعمل لخدمة المجموع، بل إن لهذا الفرد في الإسلام ذاته الحرة المستقلة.

ومن أول حقوقه أنه يختار ويعمل بإيحاء من رأيه وضميره وفكره الخاص، ليجني في النهاية ثمرة كل ذلك خيرا كانت أو شرا. بشرط ألا تتعدى حريته الخاصة على حرية الآخرين، لأن لغيره في الحرية حقا مثل حقه فيها! ثم عليه بعد ذلك أن يسهم في إقامة مجتمع سليم، يحتاج إليه بطبيعة مصالحه مثلما يحتاج إليه الآخرون. فالمجتمع في خدمة الفرد، وعلى الفرد واجبات تجاه هذا المجتمع، وإذا ما أدى الفرد واجباته العادلة للمجتمع، فلا يحق للمجتمع بعد ذلك أن يسلبه أي حق من حقوقه العامة أو الخاصة، كحق التملك أو التوظيف، أوالمقاضاة أو المشاركة في الرأي أو غير ذلك!!!

ومن الجدير بالذكر هنا أن المساواة العامة في الإسلام لم تستخدم كوسيلة لقمع الملكات الخاصة، وإنكار الفوارق العقلية أو الجسدية أو غيرها. وإنما لكل عامل عمله. فمن اجتهد أكثر فجزاؤه أكبر. ومن كان أذكى أو أدق أو أقوى فكرا أو جسما، فإن المساواة في الإسلام لا تضعه في مستوى من هو أقل منه بل تفاوت بينهم. كل وما يستحق. لأن الناس باعتبار ملكاتهم وجهودهم، درجات بعضها فوق بعض. فلا مجال في هذه الناحية للمساواة المطلقة. وإنما يسري الإسلام بين الناس جميعا، فلا تميز بينهم في حقوق الإنصاف وحقوق المعاملة، ولا فضل لأحد على الآخرين بغير أعماله وأخلاقه التي تجمعها كلمة التقوى. وهذا هو الإنصاف أصدق الإنصاف وأتقى الإنصاف. وأما ما عدا ذلك فالمساواة فيه ظلم وبخس للحقوق قال الله تعالى: « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

«فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة»

« لا يستوي الخبيث والطيب»

وأقبح ما في هذا الظلم أنه نزول يأتي للنازل أن يصعد باختياره، وأنه يسوي الأعلى بالأدنى حيثما استطاع!

وإنما المساواة شرف حين ترتفع بالأدنى إلى ماهو أعلى منه، وحين تعطي الرفيع حقه، وتأبى عليه أن يجور على حق غيره، وحين تكون أعماقها إنصافا للفطرة السليمة التي فطرت على التفاوت والتنوع.

الإنسان من حيث هو إنسان لا يسبق أحد إلا بالتقوى، والإنسان من حيث هو قوة مؤثرة في الحياة بما يعمل وما يؤدي من خدمات درجات متفاوتة. إذن، فالميدان مفتوح للجميع، والفرص متاحة لكل راغب. وعليهم أن يتسابقوا بكل قوتهم وحريتهم. وظلم بعد هذا أن نسوي بين السابق والمسبوق كما تريدنا بعض الدعوات والمذاهب. وبذلك لا تبقى طاقة بشرية إلا ولها مجالها وحافزها إلى العمل والنشاط. ومن ثمة يأخذ الفرد مكانه في المجتمع دون أن يغيب في شيء من حقوقه، ودون أن يؤخر عن مرتبته قيد شعرة!

وعليه أن يختار بعد ذلك لنفسه الدرجات العلا. أو الحضيض المنحدر.

وصدق الله العظيم « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»

والمجتمع الإسلامي يتألف من أفراد كلهم قد تحرروا وجدانا وفكرا، وأصبح على كل فرد منهم واجبات يؤديها لهذا المجتمع في ظل نظام خاص أو سياسة مرسومة. وإن انتظام الفرد في المجتمع يبدأ بالأسرة وينتهي بالدولة، فالأمة، فالعالم كله!

وقد يضطر هذا الفرد، مع تحرره وجدانيا وفكريا إلى ضروب من العبودية والقهر، تحول بين قوته وطاقاته، وبين أن تؤثر أثرها أو توفى إلى غايتها وبذا يكون شعوره بحريته الشخصية مردودا برقيه الاجتماعي.

لقد ظهر في الدنيا أديان عدة لها أتباع ومنكرون. والاسلام ينفرد من بين هذه الأديان بأنه دين العقل الذي يرفض أن يعطل الإنسان حواسه وملكاته عن العمل من أجل استجلاء الصواب، فيعرض حقائقه وتفاصيله على بساط البحث جلية، ويطلب من العقل المنصف أن يأخذها عن راي واقتناع وفكر وبصيرة، وهو كامل الحرية موفور الاختيار. فلا طلاسم ولا غرائب يساق إليها سوقا، بل مبادئ تعرض للنقاش الحر وللجدل بالبحث وبالتي هي أحسن، ودعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، في تسلسل منطقي ثابت، واستشارة للفكر يحثه على إبداء وجهته بكل صراحة واستقصاء.

فمثلا يبدأ الإسلام فيطلب من دعاته أن يقولوا لمنكريه في مجال الدعوة إلى البحث المجرد « وإنا وإياكم لعلى هدى أوفي ضلال مبين»

والمسلمون لا يفرضون مبدئيا أنهم على هدى دون غيرهم، ثم يعودون للبحث عن الحقائق المجردة تاركين الفرصة للخصم كي يبدأ بإبداء ما عنده قائلين له « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا»، « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»

ولا يكتفون بذلك، بل إنهم يعودون فيستنفرون الخصم بالتحدي المقصود به استثارة آخر حجة تكون باقية لديه:

« قل أرأيتم ما تدعون من دون الله، أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات، إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين»

ثم ينهي المقام بعرض منصف « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون» وبعد ذلك « فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر» بلا ضغط ولا إكراه: « لا إكراه في الدين»

وأخيرا « لكم دينكم ولي دين»

هذا هو سبيل المناقشة وحدودها العامة، كما تصورها بعض أصول الإسلام الماثلة في هذه الآيات على سبيل التمثيل، لا الإحاطة والشمول، فهو لا يروع ولا يقهر ولا يكابر، بل يترك الميدان فسيحا للخصم، ويتيح له كل الحرية لإبداء ما يرى. ولا يطلب لذلك إلا شيئا واحدا هو أن ينصف الخصم عقله فلا يجزره عن حق، ولا يرغمه على باطل، فإن أبى إلا خذلان الحق وتجاهل العقل فلسنا بمكرهيه على ترك دينه.

قال تعالى « قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل»

وبعد هذا فالإسلام يضمن لمخالفيه كافة الحقوق العامة التي تلزم الفرد العادي مسلما أو غير مسلم ما دام لا يجاهر بالعداء أو يبيت النية على مكر بل« لهم مالنا وعليهم ما علينا»

كما يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في حق أهل الكتاب. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ».

(تتمة ص9)

يلقي الله تعالى حب موسى في قلب امراة فرعون من أول نظرة تنظر إليه فتقول:

قرة عين لي ولك، لا تقتلوه...

ويحرم الله المراضع على موسى لترضعه أمه كما وعد جل وعلا.. ويبحث فرعون وجنوده عن مرضعة لهذا الرضيع المبارك..

التي أمرت زوجة فرعون بعدم قتله، حتى أتت أم موسى، انتبه أيها المسلم، أم موسى الآن في قصر فرعون تضم موسى إلى صدرها وترضعه وفرعون يجلس إلى جوارها يأمرها ارضعيه... أكرميه... أشبعيه...

وبالأمس القريب كانت أم موسى تخشى عليه من فرعون وهي الآن ترضع موسى في قصر فرعون بأمره، إنها حلاوة الثقة.

والسؤال المرير أيها المسلمون...

فيمن تثق الأمة الإسلامية الآن؟

الأمة الإسلامية تثق الآن في بعض دول الأرض أكثر من ثقتها في رب السماوات والأرض، إلا من رحم ربك جل وعلا...

فخذلت الأمة من قبل من وثقت بهم، وذلت الأمة من قبل من اعتزت بهم، فما أحوج الأمة الآن إلى أن " تثق" في الله، إلى أن تعلم يقينا أن الكون كله بيد الله وأنه لا تستطيع قوة على وجه الأرض أن تقدم لها أو أن تملك لها نفعا ولاضرا، فضلا عن أن تملك لنفسها هذا النفع والضر، ما أحوجنا الآن إلى أن" نثق " في الله سبحانه وتعالى، وأن نرجع إليه جل وعلا " بثقة" مطلقة وأن" نثق " إن العودة لله جل جلاله فيها السعادة والفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، وأن نرجع إلى الله لنمتثل أمره، ونتجنب نهيه، ونقف عند حده، فالأمة الإسلامية ليست فقيرة، ليست قليلة، حباها الله بالطاقات الحية، طبيعية وبشرية، حباها الله بالمناخ، حباها الله بالموقع الاستراتيجي الفريد، ورزقها الله تعالى العقول والأدمغة التي تبدع وتفكر في كل مجالات الحياة.

الأمة الإسلامية لا ينقصها شيء من كل جانب لكن ينقصها ان" تثق " في الله جل وعلا، وأن توظف كل ما تملك الآن من طاقات هائلة لدين الله تعالى..

وحينئذ تستحق النصرة من العلي القدير، وتستحق التمكين بموعود الله جل وعلا.

" يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له "

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يكون عزيزا فليتق الله، ومن أحب ان يكون قويا فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون غنيا فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه»

أيها المسلمون السيادة في الأرض لن تكون إلا إذا اعتصم المسلمون بالله تعالى، وآمنوا حق الإيمان وأيدوا أيمانهم باتباعهم هدي القرآن، ونبذوا التفرق والشقاق والنفاق، وتركوا الخلاف والنزاع، وأجمعوا أمرهم على أن يكونوا أمة واحدة شعارهم« لا إله إلا الله محمد رسول الله »

بعض فضائل البسملة والحمدلة

الحلقة الأخيرة

■ أعده للنشر أبو بكر

وعن أبي هريرة رضي الله عنه وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال إني محتاج وعلى عيال ولي حاجة شديدة فخليت عنه فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال فقلت يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله، قال: أما أنه قد كذب وسوف يعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته فجاءيحثو من الطعام قال وأخذته في الثالثة فقلت له لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود، قال دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ اية الكرسي فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما أنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قلت لا قال: ذلك شيطان.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأيتان من آخر سورة البقرة من قرأ هما في ليلة كفتاه وإذا انتبه من نومه يقول الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من وجد ينتبه من نومه فيقول الحمد لله الذي بعثني سالما سويا، أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، إلا قال الله صدق عبدي.

وأخرج أحمد وابن مردوية عن ابن ابزى عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: أصبحت على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، وإذا أمسى قال مثل ذلك، وعند ركوب الدابة قال: بسم الله سبحان الذي سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون وإذا عترت به دابته فليقل بسم الله وفي الحديث أيضا وإذا ركبت سفينة قل بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم. وعند الزكاة قل بسم الله ، الله أكبر . وعند لبس الثوب قل بسم الله ويتيامن في لبسه ثم يقول: اللهم لك الحمد انت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له، وفي رواية الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ، فإذا خلعه فليخلعه من قبل مياسره فيستر ما بين عين الجن وعورته أن يقول بسم الله، فعن صفوان بن مسلم قال الجن يستمتعون بمتاع الإنس وثيابهم ، فمن أخذ منكم ثوبا ووضعه فليقل بسم الله، وعند دخول السوق يقول بسم الله، اللهم إني أسألك خير هذا السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة.

وروى الترمذي وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من دخل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحيت عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة».

وعند إطفاء المصباح وتغطية الأواني وغلق الباب يقول: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

وعند قطع الأودية بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ، وعند الجلوس: بسم الله الذي لا يخيب اسمه وعند القيام بسم الله سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وهي كفارة المجلس إلى غير ذلك من فضائلها مما لا يتحصر ولا يحصى. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم "من قال إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان وذلك أنه لامحيد للعبد عن الوقوف بباب الله تعالى والاعتصام به والالتجاء إليه في جميع الأوقات وسائر الحالات

نزول البسملة

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سكنت الريح وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين وحلف الله بعزته وجلاله أن لا يسمى على شيئ إلا بورك فيه .وعن ابن مسعود أنه قال من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فاليقل بسم الله الرحمن الرحيم.

دعاء عرفة

وقد تضمنها دعاء عرفة وهو: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ماشاء الله لا يكشف السوء إلا الله بسم الله ماشاء الله كل نعمة من الله، الخير كله بيد الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله

تنبيه

بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا وزبانية جهنم تسعة عشر وروى ابن مسعود والحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قال الحمد لله فتحت له أبواب الجنة الثمانية وأما إرداف البسملة بالحمدلة في قوله حمدا لله حق حمده فلثلاثة أمور :

أولها: الاقتداء بما ورد في الأخبار.

الثاني: الاقتداء بطريقة الأخيار .

الثالث: الأداء لبعض حقوق ما استقرضه من ضروب الإحسان التي من جملتها التوفيق والإلهام لهذا النظم وشرحه فالاقتفاء بها ورد في الأخبار والأحاديث في الحث على البداية بالتسمية والحمد ففي الجمع بينهما ابتداء عمل برواية الحديث ، ويكون القرآن العزيز مبدوءا بهما والاقتداء بطريقة الأخيار لأن إجماع العلماء قد انعقد على هذا الترتيب في ابتداء كتبهم والأداء لبعض الحقوق لأن الحمد في أوائل الكتب أداء لبعض ذكر المنعم والحمد هو الثناء بالجميل على الجميل الاختياري حقيقة أو حكما على جهة التعظيم والتبجيل ظاهرا وباطنا أي كل ثناء بجميل مستحق لله ومختص به، وهو رأس الشكل كما في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبدا لا يحمده، يعني من شكر الله فصلى ولم يحمده فما شكره، وورد أيضا إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله .

الحمد لله كلمة رضيها الله لنفسه وأحب أن تقال.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا قال العبد الحمد لله قال الله شكرني عبدي ، وقال غيره: الحمد لله رداء الرحمن . وقال آخر: الصلاة شكر، والصيام شكر، وأفضل الشكر الحمد لله. وعن علي رضي الله عنه قال: هي كلمة رضيها الله لنفسه وأحب أن تقال.

ح ع.د 2210.

حصة أوقات الصلاة لشهر ذي الحجة لعام 1425 هـ
حسب التوقيت الإداري لمدينتي الرباط وسلا والنواحي

الأيام	ذي الحجة 1425	يناير / فبراير 2005	الصبح س : د	الشروق س : د	الظهر س : د	العصر س : د	المغرب س : د	العشاء س : د
الأربعاء	1	12	59:5	30:7	40:12	20:3	42:5	02:7
الخميس	2	13	59:5	30:7	41:12	21:3	43:5	03:7
الجمعة	3	14	59:5	30:7	41:12	21:3	44:5	04:7
السبت	4	15	59:5	30:7	41:12	22:3	45:5	04:7
الأحد	5	16	59:5	29:7	42:12	23:3	46:5	05:7
الاثنين	6	17	59:5	29:7	42:12	24:3	47:5	06:7
الثلاثاء	7	18	58:5	29:7	42:12	25:3	48:5	07:7
الأربعاء	8	19	58:5	28:7	43:12	26:3	49:5	08:7
الخميس	9	20	58:5	28:7	43:12	26:3	50:5	09:7
الجمعة	10	21	58:5	28:7	43:12	27:3	51:5	09:7
السبت	11	22	57:5	27:7	44:12	28:3	52:5	10:7
الأحد	12	23	57:5	27:7	44:12	29:3	53:5	11:7
الاثنين	13	24	57:5	26:7	44:12	30:3	54:5	12:7
الثلاثاء	14	25	56:5	26:7	44:12	31:3	55:5	13:7
الأربعاء	15	26	56:5	25:7	44:12	32:3	56:5	14:7
الخميس	16	27	56:5	25:7	45:12	32:3	57:5	14:7
الجمعة	17	28	55:5	24:7	45:12	33:3	58:5	15:7
السبت	18	29	55:5	23:7	45:12	34:3	59:5	16:7
الأحد	19	30	54:5	23:7	45:12	35:3	00:6	17:7
الاثنين	20	31	54:5	22:7	45:12	36:3	00:6	18:7
الثلاثاء	21	فبراير	53:5	21:7	46:12	37:3	01:6	19:7
الأربعاء	22	2	52:5	21:7	46:12	37:3	02:6	20:7
الخميس	23	3	52:5	20:7	46:12	38:3	03:6	20:7
الجمعة	24	4	51:5	19:7	46:12	39:3	04:6	21:7
السبت	25	5	50:5	18:7	46:12	40:3	05:6	22:7
الأحد	26	6	50:5	18:7	46:12	40:3	06:6	23:7
الاثنين	27	7	49:5	17:7	46:12	41:3	07:6	24:7
الثلاثاء	28	8	48:5	16:7	46:12	42:3	08:6	25:7
الأربعاء	29	9	48:5	15:7	46:12	43:3	09:6	26:7

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1100
السنة38
الجمعة 17 ذو الحجة 1425 هـ
الموافق 28 يناير 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1100 الجمعة 17 ذو الحجة 1425 هـ .الموافق 28 يناير 2005م

تعليم الفقه الإسلامي أهدافا ومبادئ وإجراء

الأستاذ: العربي المودن

من المعلوم أن الفقه فرع من فروع علوم الشريعة، ويعنى بدراسة العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.

وفي مجال دراستنا للعبادات على وجه الخصوص، يجب أن نميز بين جانبين مختلفين في طبيعتهما ونتائجهما.

أولا: الجانب الفقهي التعليمي

ثانيا: الجانب التربوي، وهو الذي يعنى بالغاية التي شرعت من أجلها العبادة.

ويمكن دراسة الجانب الأول دراسة عقلية محضة بوصفها مجموعة من الأحكام الفقهية، دون أن يكون لها أثر في الجانب التربوي وحسب كثير من الأساتذة الدعاة أن الغاية من درس الفقه هي ايصال هذه المعلومات الفقهية إلى الجمهور المتعلم دون أن يكون لها أثر على سلوك المتعلمين وأخلاقهم. أي أنها معلومات جامدة. منقطعة الصلة عن بيئة المتعلم.

وإذا أردنا لدرس الفقه أن ينجح فلابد من التركيز على الجانب التربوي، لأنه مرتبط بفروع علوم الشريعة الأخرى فهو مرتبط بالقرآن الكريم وتفسيره وبالحديث الشريف وفهمه ومرتبط كذلك بالعقيدة، لأن العقيدة القوية تنبثق عنها العبادات والمعاملات والأخلاق القويمة، فدرس الفقه لايدرس بمعزل عن دراسة العقيدة، ولا عن دراسة القرآن الكريم، والحديث الشريف، ولا عن التهذيب والسيرة لأننا نريد أن نهذب نفسا لتنمو وترقى، ونعالج شخصا لينمو ويكتمل، وليس الغرض حشو الذهن بمعلومات نظرية يرددها دون فهم، وكل عبادة إن لم تؤد إلى نتائج عملية، وثمرات اجتماعية، فهي عبادة بتراء، لم تفهم على وجهها الصحيح.

وسأحاول أن أتناول في هذا العرض المتواضع القضايا الآتية:

- تعريف بالشريعة الإسلامية.
- تعريف بالفقه الإسلامي.
- خصائص الفقه الإسلامي
- علاقة الفقه بالشريعة.
- الأهداف العامة لتدريس الفقه.
- مبادئ يسترشد بها في تدريس الفقه.
- اجراءات تدريس الفقه.
- تعريف الشريعة الإسلامية:

أ. معنى الشريعة في اللغة:

1. الشرعة والشريعة في كلام العرب: مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة، أي الماء الجاري الذي يقصد للشرب، والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء جاريا لا انقطاع له، ويكون ظاهرا معينا لايسقى بالدلو.

2 والشريعة والشرعة: الطريق المستقيم، وهي ماسن الله من الدين وأمر به، ومن هذا المعنى قوله تعالى: "ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها "الجاثية:18، وقوله عز وجل: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"المائدة:48

ب. معنى الشريعة في الاصطلاح الشرعي:

وردت عدة تعاريف للشريعة، وكلها متقاربة في محتواها

1. الشريعة: مانزل به الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الأحكام التي تصلح أحوال الناس في دنياهم وآخرتهم، سواء في ذلك أكانت الأحكام اعتقادية أم عملية أم تهذيبية.

2. تطلق الشريعة على الأحكام التي شرعها الله تعالى لعبادة على لسان رسول من الرسل عليهم السلام، سواء أكان تشريع هذه الأحكام بالكتاب المنزل من الله تعالى، أم ببيان الرسول المنزل عليه وسميت هذه الأحكام شريعة، لأنها مستقيمة الهدف والغاية محكمة الوضع والصياغة، لاينحرف نظامها، ولاتلتوي عن هدفها ومقصدها، ولأن بها حياة العقول والأرواح، كما أن بالماء حياة الأجساد والأبدان.

تحليل التعريف:

يتضح من خلال التعريفين السابقين، أن أحكام الشريعة الإسلامية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولا: الأحكام التي تتعلق بالعقيدة الإسلامية كالأحكام المتعلقة بصفات الله تعالى، ورسله وملائكته.. وقد خصص العلماء لدراستها علما خاصا بها هو علم الكلام أو علم التوحيد.

ثانيا: الأحكام العملية وهي التي تتعلق بأفعال وأقوال العباد، وتشمل العبادات والمعاملات، وقد تكفل ببيان هذه الأحكام علم الفقه.

ثالثا: الأحكام المتعلقة بالأخلاق، وهي التي تتحدث عن الفضائل الإنسانية، مثل الأمانة والعفة والصدق والوفاء بالعهد وغير ذلك مما يؤدي إلى تهذيب النفس وتزكيتها، والابتعاد بها عن الصفات المرذولة كالخيانة والأنانية والكذب، ومحل دراستها هو علم الأخلاق .

تعريف الفقه:

معنى الفقه في اللغة:

تستعمل كلمة الفقه في اللغة في معنيين:

1. الفقه في الأصل الفهم، يقال: أوتي فلان فقها في الدين أي فهما فيه. قال الله تعالى : "ليتفقهوا في الدين" التوبة:112. وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما فقال: "اللهم فقهه في الدين" خرجه البخاري في صحيحه. والسيوطي في جامعه الصغير، ومن ذلك قوله تعالى: "قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول" هود:91. وقوله تعالى : "واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي"طه:28،

وقوله (ﷺ): "من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله" أخرجه البخاري في صحيحه.

2. فهم غرض المتكلم من كلامه، نقول: فقهت كلامك: أي فهمت الغرض منه، ومادة فقه وردت في القرآن الكريم في عشرين آية، ووردت في السنة الشريفة في أماكن كثيرة.

معنى الفقه في الاصطلاح:الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وهو علم مستنبط من القرآن الكريم والسنة الشريفة بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل، كما يطلق على الأحكام الشرعية التي نقلت إلينا عن طريق الإجماع.

×تطور كلمة الفقه:

يظهر لنا من خلال التعريف أن كلمة الفقه مرت بمراحل حتى وصلت إلى المعنى الاصطلاحي الحاضر:

1. كانت تطلق كلمة الفقه في بادئ الأمر على الفهم والفطنة.

2 ثم أطلقت على الأحكام الشرعية جميعها التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، سواء ما كان منها متعلقا بالعقائد، أم بالأخلاق أم بالعبادات والمعاملات.

3 ثم طرأ تغيير على مفهوم الفقه فصار يطلق على الأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة، وبهذا المعنى الاصطلاحي لكلمة الفقه، خرجت من مفهومه الأحكام التي تتعلق بالعقيدة والأخلاق وصار مدلوله قاصرا على الأحكام العملية أي على العبادات والمعاملات .

خصائص الفقه الإسلامي:

يختص الفقه الإسلامي القائم على الشريعة الإسلامية بجملة من الخصائص تميزه عن غيره من النظم والقوانين الوضعية، وهي كما يلي:

1. صفته الدينية: أهم مانلاحظه في الفقه أن أحكامه مستمدة من مصادر التشريع الإسلامي الإلهية، وهذه الصفة اكسبته احتراما لدى المؤمنين به، أما الأحكام التي توصل إليها العلماء باجتهادهم على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة، فإنها تعد فقها مستمدا من الوحي الإلهي، لأن كل فقيه مجتهد، مقيد في اجتهاده بنصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة.

2. الجمع بين الجزاء الدنيوي والجزاء الأخروي، مع تنمية الوازع الديني والأخلاقي في نفوس الناس، فالجزاء الدنيوي يوقع على المخالف في الدنيا، ويقوم الحاكم بتنفيذه أو من ينوب عنه. أما الجزاء الأخروي فهو موكول إلى الله تعالى، والوازع الديني والأخلاقي عند المؤمن يكسبه شفافية واستجابة لتطبيق أوامر الله، فهو يمنعه من الوقوع في الحرام والمخالفة، مادام يعلم أن الله سيحاسبه ويعاقبه، وإن هرب من عقاب الدنيا، وفي هذا دعوة صريحة للالتزام بأحكام الفقه والحيلولة دون مخالفتها، ومتى استقر هذا الوازع في قلب المومن، واطمأنت إليه نفسه، فإنه لن يهتم إلا بصلته بالله وتكون هي المعيار الصحيح الذي يقيم على أساسه علاقاته مع الآخرين.

3. يمتاز الفقه الإسلامي بمرونته وقدرته على تلبية حاجات كل عصر، وتتضح هذه الميزة من خلال الحقائق التالية:

أ. تتيح المبادئ العامة والقواعد الكلية التي يطفح بها القرآن للعلماء إيجاد تشريع مرن متطور يستمد من هذه المبادئ أصوله، ويتفرع من هذه الدائرة، مايحتاج إليه العباد من أنظمة وقواعد وقوانين.

ب. تجمع مصادر الفقه بين المصادر الثابتة كالقرآن والسنة والمصادر التبعية المرنة، المتطورة كالمصالح المرسلة والاستحسان، وكل مايعتمد على الرأي والاجتهاد، وهذه المصادر من المرونة والسعة بحيث تمدنا بجميع الأحكام اللازمة لمواجهة الحياة المتجددة. مع مراعاة الأعراف والعادات الموجودة في المجتمع، وذلك في حدود ما لا نص فيه.

ج. يراعي التشريع الإسلامي مصلحة الفرد، ومصلحة الجماعة على حد سواء، ويجعل الجسور بينها متينة والترابط قويا دون طغيان.

د. يختلف الفقهاء في استنباط الأحكام من مصادر التشريع في عصر واحد، أو في عصور متعاقبة، وهذا دليل على أن التشريع الإسلامي خصب مرن، يساير مصالح الناس، ويراعي ظروفهم الحياتية.

4. يمتاز الفقه الإسلامي بصفتي الشمول والخلود، ولكن على نحو أقل مما للشريعة، وأكثر مما للقوانين الوضعية، جاءت هذه الصفة نتيجة وأثرا لمصدره الأول، وهو القرآن الكريم الذي جاء شاملا للأحكام جميعها. مصداقا لقول الله تبارك وتعالى: "ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء" النحل 89، فهو نظام للدين والدنيا، يراعي الجانب الديني والأخلاقي في تنظيماته المختلفة، وقد تعهد الله بحفظ القرآن الكريم من التغيير والتحريف حيث يقول جلت قدرته: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"الحجر:9 ومن هنا ندرك السر، فيما أصاب الكتب الإلهية السابقة من تبديل وتحريف لأن الله لم يتعهد بحفظها، كما تعهد بحفظ القرآن الكريم.

5 عالمية الفقه الإسلامي، وعدم تأثره بالنظم غير الإسلامية الأخرى، تشهد النصوص الشرعية على عالمية الفقه الإسلامي، لأن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليست محلية، وإنما هي للناس كافة، حيث يقول الله تبارك وتعالى: "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا" الأعراف:158 ويقول عز وجل: "ومآارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا، ولكن أكثر الناس لايعلمون" سبأ:28 وقد انعكس انتشار الإسلام ووصول أحكامه إلى كل مكان من العالم، على الفقه نفسه، مما استدعى أنظار الباحثين، حيث اتجهوا نحو الفقه، ووجهوا أنظار شعوبهم إلى ماحواه الفقه الإسلامي من مبادئ عظيمة أوجدت التوازن الدقيق بين الفرد والجماعة، وانعكس ذلك على حياة الأمة بكاملها. وهذا ماأكده رجال القانون في الغرب، في مؤتمراتهم الدولية، حيث استعرضوا نظريات الفقه الإسلامي فوجدوا أن لمبادئ الإسلام قيمة تشريعية لايمارى فيها. وهي مناط الإعجاب والتقدير، ولهذا اعتبروا الشريعة الإسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام، ومن المعلوم إن الفقه الإسلامي فقه مستقل بمصادره ومناهجه وأحكامه لم يتأثر بالمؤثرات الخارجية.

6. ارتباط الفقه بالبيئة واعتداده بالواقع الاجتماعي للأمة، ذلك بأن فقهاء المغرب كانوا حريصين على أن يسجلوا كثيرا من دقائق التقاليد والعادات التي درج عليها المجتمع المغربي، بحيث تقصوا أحوال أزمنتهم. وأوضاع مجتمعهم، فاستنبطوا لها من التقنيات الملائمة لظروفها وأحوالها ومستواها، مايكشف عن دقائق الأحداث والمواقف والأوضاع، ليس هذا فحسب، بل إنهم فيما تقصوه من جزئيات،جاوزوا حدود زمانهم في رؤية ثاقبة نحو المستقبل بحيث قدروا مايتوقع أن تواجهه الأمة من ظروف طارئة تستدعي أحكاما مناسبة لمواجهة طوارئ الظروف والأحداث، فاجتهدوا في استنباط أحكام لها على قواعد المذهب، تستجيب لواقع الحال ومقتضيات البيئة، ناظرين في كل ذلك إلى المصلحة العامة فجاءت هذه التآليف سجلا حافلا لضبط تاريخ هذه البلاد دينيا ومدنيا، بحيث تعتبر أصح الوثائق وأصدقها على تتبع حياة هذه الأمة اقتصاديا وحضاريا وعمرانيا.

فهي إضافة إلى كونها تشكل ذخيرة فقهية بحكم وظيفتها التشريعية. هي أيضا سجل هام يجد فيه الباحث مبتغاه في سائر مناحي الحياة الاجتماعية وهذا مالفت نظر الباحثين المعاصرين إلى أهمية هذا التراث، فاهتموا به ودرسوه، لاليتعرفوا على ما فيه من مسائل فقهية، ولكن لما احتوى عليه من معلومات نادرة تتصل بشؤون الحياة كلها بكل مقوماتها ومكوناتها.

وفقه هذا شأنه، وتلك خصائصه ومميزاته، جدير لعمري بأن نعتني به دراسة، وتحقيقا، ونشرا، وذلك أقل مايفرضه علينا الواجب تجاهه.